سلامة عبيد

اختيار وتوثيق

سلمى سلامة عبيد

سلامة عبيد

التأليف: سلمى سلامة عبيد

تصميم الغلاف: عامر قطيش

تنسيق الصور: دانا عبيد

المراجعة والتدقيق اللغوي: إسماعيل رسلان

الإخراج الفني: عائدة الياس سلامة ــ الشام

التوزيع والنشر:

دار ليندا للنشر والتوزيع والطباعة

الطبعة الأولى ـ 2018

موافقة الطباعة: 115387 تاريخ 2018/5/26

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

obeidssalma@gmail.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها، وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من المؤلف.

All rights reseved. No part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieved system, or transmitted in any means: electronic, mechanical, photo copying, recording or other wise, without the prior permission, in witting, of the Author.

-

من أين أبدأ؟

- إن يكتب المرء عن أديب متنوع في صفحات قليلة فسيُصيبه ما أصاب رسول حمزاتوف من حيرة، حينما طلب إليه أن يكتب عن داغستان بلده في تسع صفحات، وما أصاب نزار قباني حين أراد أن يختار لديوانه (أحلى قصائدي) مجموعة من أجمل قصائده، فتردّد، وقال: «إن قطف بضع زهرات فيه ظلم للبستان». كذلك كان الأمر مع سلامة عبيد المتعدد في واحد؛ وذلك لأنه واسع ومتنوع كبلده يحار فيه المرء من أين يبدأ.

ضحى سلامة عبيد[4]

- جئنا إلى جبل العرب فوجدنا جبلين، الأول جبل العرب والجبل الثاني سلامة عبيد.

د. فيصل حصيد[5]

- أحب أن يصدقني من يقرؤني، أنّ في حياتنا عبقريات حقيقية أصدقُ نبوغاً ممّا نظن، وقدرات عالية على الابتكار. وجمالاً في النفوس، وغنى في الفكر يصلحان أن نتعلم منهما المحبة والإخلاص والايثار والتضحية .

د. عبد الكريم الأشتر[6]

محتويات الكتاب

لمحة عن حياته

الفصل الأول

أعماله المطبوعة والمخطوطة

سلامة عبيد شاعراً

- لهيب وطيب
- اللّه والغريب
- اليرموك (مسرحية شعرية)
- أغنيات لأطفال بلادي
- قصائد بالإنكليزية

سلامة عبيد كاتباً قصصياً

- ذكريات الطفولة
- رواية أبو صابر
- النساجة وراعي البقر
- قصص للأطفال

سلامة عبيد والتأليف المعجمي

- القاموس الصيني ــ العربي الكبير وهو الأول من نوعه في العالم
- قاموس المترادفات العربية
- قاموس مبوّب حسب المواضيع
- قاموس للأمثال الصينية وما يقابلها بالعربية

سلامة عبيد مؤرخاً

- الثورة السورية الكبرى
- ربابة الثورة

باحثاً في التراث الشعبي

- أمثال وتعابير شعبية، من السويداء- سوريا
- الشعر النبطي في الإمارات
- طرائف من الصين

مترجماً

- جبل حوران، بركهاردت
- رحلة في جبل حوران، القس بورتر
- ترجمات من الشعر الصيني القديم

كاتباً في أدب الرحلات

- الشرق الأحمر
- مع الرئيس ماو

باحثاً في الديانات السماوية

- مقتطفات مقارنة من الديانات السماوية الثلاث
- المحرمات والمكروهات في القرآن
- المعارضة والمعارضون في عهد النبي محمد (صلعم)

مؤلفاً للكتب الجامعية

وصلنا منها:

- ملاحظات حول الترجمة
- لمحة عن تطور الشعر العربي من الجاهلية حتى القرن العشرين
- لمحة عن موسيقا الشعر العربي
- مختارات من قصائد فلسطينية
- أمثال من ألف ليلة وليلة
- القراءة العربية

الفصل الثاني

شهادات النقاد، وفاء الأصدقاء، وحكايا الأبناء والطلاب

- أكرم زعيتر
- عمر الدقاق
- مارون عبود
- فوزي معروف
- صالح زهر الدين
- سيف الدين القنطار
- محمد طربيه
- جميل حسن
- لوي شي هدي
- نايف عبيد
- مجلة الثقافة الشهرية: عدد خاص
- مجلة الثقافة الأسبوعية: عدد خاص
- فيلم عناد السنديان: فيلم وثائقي
- الندوة التكريمية عام 2002
- الندوة التكريمية عام 2007
- مختارات من كتب ومقالات وبرامج إذاعية
- موسوعات وكتب ومقالات كتبت عن الأديب
- مقالات وقصائد ودراسات كتبها الأديب للصحف والمجلات
- قصص شخصية عن الأديب بأقلام ابنتيه وطلابه
- فهرس بالأسماء التي وردت في الكتاب

ملحق

وثائق وصور

لمحة عن حياته

❖ هو ابن الشاعر والمجاهد **علي حسين عبيد** أحد أركان الثورة السورية الكبرى.

❖ درس في لبنان من المرحلة الابتدائية وحتى تخرجه في الجامعة الأميركية، حيث حصل على الماجستير بدرجة الشرف الممتازة.

❖ عاد إلى السويداء عام 1951 ليعمل في التدريس والإدارة، ثم مديراً للتربية.

❖ انتخب عضوا في مجلس الأمة إبان الوحدة بين مصر وسورية.

❖ سافر إلى الصين، حيث أشرف على تأسيس قسم اللغة العربية في جامعة بكين.

❖ عمل في التدريس في جامعة بكين، ووضع عدداً كبيراً من الكتب التعليمية للطلاب الصينيين.

❖ أمضى ما يزيد على عشر سنوات في عمل يومي دؤوب لإنجاز القاموس الصيني- العربي الكبير والأول من نوعه.

❖ كتب قصيدة « اللّه والغريب» يدعو فيها اللّه أن يتوفّاه في بلده..

«يا ربِّ، لا تُغمض جفوني هنا
هنا، قلوب الناسِ بيضاءُ
وأرضُهُمْ ماءٌ وأفياءُ
لكنَّ بي شوقاً إلى أرضي

لجبل الريّانِ والساحل

ألقي عليه نظرةَ الراحل»

واستجاب اللّه لدعائه، وتوفيّ بعد يوم واحد من وصوله إلى الوطن.

الفصل الأول
أعماله المطبوعة والمخطوطة

سلامة عبيد شاعراً
مختارات من ديوان: «لهيب وطيب»
لا، لن أكونْ..

لا، لن أكونَ
وما خُلقت لأن أكونْ
قصباً يرجّفه النسيم، وتستخفُّ به الرياحْ
ويذلّ في وجه الأعاصير الغضاب فيُستباح
ويظلّ مرتجفاً، يقبّل، في المساء وفي الصباح
قدم الأعاصير الغضابْ
حتّى تَعَفّر بالترابْ
لا، لن أكون.

❖ ❖ ❖

لا، لن أكونَ
كما يشاءُ ليَ النصيح بأن أكونْ
غصناً يميل كما تميل مع النسيمات الغصون

لَدْناً، يُسِفُّ وينحني، حتّى إذا عاد السكون
أضحى يطاول في السحابْ
هاماً تُعَفّر بالتراب
لا، لن أكون.

❖ ❖ ❖

لا، لن أكون
وما خُلقتُ لأن أكونَ كما يريد لي الزمانْ
قصباً يرجّفه النسيم، ويستقيم إذا استكان
أنا في إباء السنديان، وفي عناد السنديان
فإذا الأعاصير الغضاب
دوَّت تطاول في السحاب.

ليتني أنسى

(ليتني أنسى.. قصيدة تتجاذبها ذكريات حلوة
من دمشق.. والربوتين.. وسحر من جبل لبنان..)

ليتنـــي أنـــسى زمانـــاً طيبـــاً من شـبابي، مـرّ بـين الربـوتينْ
وأحاديـــثَ الهـــوى ريانـــة وتثنّـــي بـــردى والـــضفَّتين

❖ ❖ ❖

فـإذا مـا الليـل أرخـى سـترَهُ وتـلاشى كـل همـس وانـدثرْ
وتهـــادي البـــدر في عليائـــه ورنـــا الـــنجم بخـــوف وحـــذر
وإذا مـــا الـــريحُ في ثوراتـــه ردَّد الآهـــات، والغـــاب اقـــشعر
وتمـــشَّت نـــشوةٌ محمومـــة في عروق الليل، واحلولى السمر
أذكـــر المـــاضي، وأبـــكي بـــردى وشـذا الـوادي وأحـلام الـسحَر
وزمانـــاً، كلـــما الليـــلُ هفـــا هيجـت ذكـراه دمعـي فـانهمر

❖ ❖ ❖

قيـل في العـود عـزاء يُرتجـى فلـــيرنِّمْ، وليـــشنف مـــسمعي

ولتشعــشعْ ابنــة العنقــود في حلــك الليــل كَــذَوْبِ الأَدمــعِ

علَّهـا تبعـث في جفنـي الكَـرى نامــت الــشهب، ولمّــا أهجــعِ

فتلظـــى القلـــب لمّـــا لثَمَـــتْ ابنـــة الكَـــرم برفـــق أضـــلعي

لَهَـثَ العــود، وأَبــدى عجــزه وانثنى يبكي على المـاضي معـي

عـــذبتني ذكريـــاتٌ حلـــوةٌ واســـتبدت بفـــؤادي الموجـــعِ

❖ ❖ ❖

يـا رُبـا لبنـان رفقـاً وارحمـي وابعثي في خـافقي نـور الهـدى

بعـد مـا ودعـتُ عهـداً طيبـا لم يزل في خاطري منه صـدى

عَـصَف البـين بـأحلامي، فـلا بـسمةٌ رفَّـت، ولا عـودٌ شـدا

جئتُ يا لبنـان أنسى مـا مـضى فــإذا بي قــد تناســيتُ غــدا

وإذا بي زهـــــرةٌ مهجـــــورةٌ لم تـزل تهفـو إلى ذوب النـدى

كلــما هبّــت عليهــا نــسمة أجفلت حيرى وصـاحت: بـردى

❖ ❖ ❖

كفكفِ الـدمع، فقـد هيجـتَ في هدأة الليـل النجـوم الـساهراتْ

وابتـسم للزهـر، وامـرح في الرّبـا بـين أنغـام الميـاه الـشاديات

وابعــث الآلام شــعراً ملهــما في الليالي الهادئات الساحرات

وَدَعِ المــاضي وذكــراه، وكــنْ بــسمة ريّــا عَـلَى ثغــر الحيــاة

كيــف تــبكي؟ والمنــى معــسولةً رفرفت بين الـروَّابي الزاهـرات

أنت في لبنـان، في مهـد المُنـى فلمَ الحـزنُ وذرفُ العـبرات؟!

❖ ❖ ❖

إنْ تكــنْ وَدعــت وادي بــردى وأحاديــث الهــوى والــضفتين

فهنــــا لبنــــان في روعتــــه جنةُ الدنيا وسـحر الخـافقين

❖ ❖ ❖

(عاليه، لبنان، 1940)

من دمانا

مــنْ دِمانــا، أيهــا الــسفَّاحُ، مــن دمــعِ اليتــامى والأيــامى
أتــــــرعِ الكــــــأس مُــــــداما

و أدرها بين أشـلاءِ الـضحايا واسـتغاثاتِ الثكـالى والـسبايا
وزئير المدفع الطاغي وأنات الشظايا أتـرع الكـأس، و ناولهـا النـدامى

مــــن دمانــــا، أيهــــا الــــسفاح،
مــــن دمــــع اليتــــامى والأيــــامى

❖❖❖

أمطـرِ الـشام حديـداً ولـهيباً واسـتبح فيـها هـلالا وصـليبا
واذبــــحِ المــــرضى، ولا تخــــش عــــذولاً أو رقيبــــا

عـذّبِ الأسرى ونكّـلْ مـا تـشاء وإذا الـرعب تولاك، وأضناك العياء

مــــن دمانــــا، أيهــــا الــــسفاح،
مــــن دمــــع اليتــــامى والأيــــامى
أتــــــرع الكــــــأس مــــــداما

❖❖❖

أرسل العبدان تُصْلِ النـاس نـارا وتحوّلْ جنةَ الدنيا يباباً ودمـارا

وتقتّــلْ كــلَّ مــن تلقــى: شــيوخاً وعــذارى

لهم المتجر والمحراب، والقبة حلُّ وإذا كلُّوا من التدمير والسلب، وملّوا

أتــــرع الكــــأس، وناولهــــا النــــدامى
مـن دمانـا، أيهـا الـسفاح، مـن دمـع اليتـامى والأيـامى

❖❖❖

أيُّ ذنــب كــان منّــا؟! أي شرٍّ عدتَ منهوكا، فآويناك من حرّ وقرٍّ

وتناســينا نــداء الثــأر، والأيــام تُغــري

فكسوناك، وأطعمناك خبز الفقـراء وطلبت الماء عطشانَ، بذلٍ ورجـاء

فــسقيناك مــداما، مــن دمانــا، أيهــا الــسفاح
مــن دمــع اليتــامى والأيــامى

❖ ❖ ❖

وقــدرنا، فعفونــا، وحَميْنــا و رحمنــا دمعــة الأسرى

ولم نــستوفِ دينــا
وتغاضــينا عــن المــاضي ومــا جــرّ علينــا
مــن عــذاب واضــطهاد وإســار...
وافــتراش الرمــل والأشــواك في عــرض الــصحاري

❖ ❖ ❖

ودّع الـــشام كـــما جئـــت، بـــشرٍّ مـــستطير
وإذا خِفْـــــتَ الظـــــما غِـــــبَّ المـــــسير
مـــن دمانا، أيها السفاح، من دمع اليتامى والأيامى
أترع الكأس مداما
فلقـد عـشنا كرامـاً، وسـنبقى أبَـدَ الـدهر كرامـا

(السويداء 1945)

إلى ابنتي

إلى ابنتي
يا بْنَتي! فتّحتِ عينيك على دنيا ضياءٍ وحنان
وأناشيد حِسان
فتطلّعْتِ كئيباً، وبكيتِ
وهبوك الثديَ ريّان شهيّاً، فأبيت
فلماذا يا بنتي جئت حزينة
عالماً لا تعرفينه؟
لا نيوبُ الدهر آذتك، ولا أعوانُ دهرك
وطيوف الهمّ لمّا تتململْ فوق صدرك
بيتُنا جرّبتُ أن يبدُوَ في أحسن زينةْ
في بياض الياسمينة
وفؤادي كان جذلانَ لمرآكِ، طروباً
لا عبوساً أو غضوبا
فلماذا يابنتي جئت حزينة
عالماً لا تعرفينه؟
أيَّ درب سلك الدمعُ إليكِ
فارتمى في مقلتيكِ
بكَّرَ الهمّ عليكِ

إنْ تكوني، مثلما قلن، لأصحاب مشوقهْ

لصديق

أو صديقة

أو تكوني مثلما قلتُ: «صدى نفسي الحقيقي»

أدرَكَتْ نفسي لماذا يابنتي جئتِ حزينةْ

عالماً لا تعرفينه.

(1946 السويداء)

عودي

(عودي... قصيدة من خيال طالب مطلع ربيع 1940)

عـــودي مـــع الأطيـــار، عـــودي يـــا بـــسمة الأمـــل الـــشرودِ
كـــادت تـــذوب حُـــشاشتي وتقطَّعـــت أوتـــار عـــودي

❖ ❖ ❖

نَـــثرَ الـــشباب عـــلى جبـــين الأرض أحلامـــاً وســـحرا
فتململـــت، وتثاءبـــت واســـتيقظت تختـــال كِـــبرا
لبـــست وشـــاح البـــدر واتخـذت مـن الأزهـار عطـرا
فترنمـــت زمـــر الطيـــور ورفرفـــت في الجـــو ســـكرى
عـــادت تـــذيب الحـــب والإلهـــام في الأجـــواء شـــعرا

عودي مع الأطيار، عودي

راح الـــشتاء، وعـــادت الأنهـــار تجـــري في الربيـــعْ
رقراقـــةً، هـــدّارة، صـــدّاحة لـــو تـــستطيع
الـــشهب راحـــت تـــستحم بمائهـــا الـــصافي البـــديع
والأرض أَنعـــشها الـــبلال ومبـــسم الـــشمس الوديـــع
فتقمَّـــصت ثـــوب الـــشبيبة بعـــد أكفـــان الـــصقيع

عودي مع الأنهار، عودي

رشـــفت زهـــور الحقـــل مـــن ثغـــر الـــصباح لمـــاه رشـــفا
فترنَّحَـــتْ نـــشوى، وداعبهـــا النـــسيم فكـــان عزفـــا

والـــــنرجس الوســـــنان بـــــين شـــــقائق الـــــنعمان أغفـــــى
وتملمـــــل الـــــورد الحـــــسود، وأفعـــــم الآفـــــاق عَرفـــــا
فـــــالروض في عـــــرس الربيـــــع يفـــــيض إغـــــراءً ولطفـــــا
عـودي مع الأزهار، عودي

أوَ تـــــذكرين الغـــــاب في تلـــك الليـــالي الـــساحرات؟
والبـــــدر يلهـــــو ضـــــاحكاً بـــــين النجـــــوم الـــــسافرات

وصـــــدى لحـــــون العنـــــدليب وأُنـــــسَ مزمـــــار الرعـــــاة
ونـــــضارةَ الـــــوادي، وأفيـــــاء الغـــــصون الباســـــقات

عـــــادت، فلـــــمْ لا تـــــرجعين وأنـــــت إكـــــسير الحيـــــاة؟!

❖ ❖ ❖

عـــــاد الربيـــــع ولم تعـــــودي يـــــا بـــــسمة الأمـــــل الـــــشرودِ
كـــــادت تـــــذوب حـــــشاشتي وتقطعـــــت أوتـــــار عـــــودي

(عاليه،لبنان،1940)

لست أدري

لست أدري، حبذا لو كنت أدري أيُّ شيء فيك لا يسْبي، ويُغري
قدُّكِ الممشوقُ يا أُختَ الربابِ أم صفاءُ اللون، أم بُرد الشبابِ
أم لـــذاذات الحـــديث المـــستطابِ
والحيا يرسي على الخد، ويجري في قلوعٍ من خيوط الفجر حمرِ
أيّ عطــرٍ لم يــضمِّخ راحتيــكِ أيّ سحرٍ لم يفض من مقلتيك؟!
أيّ خمـــرٍ لم تجـــل في شـــفتيك؟!
عبثـاً يطمـع في الـسكرة ثغـري وفـؤادي مغلـقٌ عـن كـلّ سُـكْر
كلّ ما في الكون حلـوٌ يـا أَخيّه كـلّ وجـهٍ فيـه أسرارٌ خفيّـةْ
تغمـــر الـــروح بأحـــلامٍ نديـــةْ

غـيرَ أني واجـدٌ فيـك، لعمـري كـلَّ آمـالي وأحلامـي وشـعري
ذاك لغـزٌ، هـل أرى للّغـزِ حـلاَّ فلقد يـشفي ـ إذا وُفقِّـتُ ـ غُـلاّ

❖ ❖ ❖

وَجَـم اللـبُّ، وصـاح القلـب كـلا
من ترى يدرك غيري كُنْهَ أمري لست أدري.. حبذا لو كنت أدري

(السويداء 1940)

يا بلادي

يا بلادي..
أنـــا إنْ لم أطلـــبِ العـــيش عزيـــزاً في ربوعـــك
فـالردى أشـهى وأولى مـن هجـوعي وهجوعـك

أيُّ شيء فيـــــك يـــــرضى مـــــا رضـــــينا؟
ويلاقـــي صـــولة الجـــور ذلـــيلاً مـــستكينا؟
ويطيـــق الأسر والإرهـــاق والقيـــد ســـنينا؟

❖ ❖ ❖

أنِفَـتْ هـذي الـروابي الـشمُّ أن تـرضى الهوانـا
فتـسامت في الفـضاء الرحـب تُـذكي العنفوانـا
لم تمُكِّـــن مـــن ذرا هاماتهـــا شـــعبا ســـوانا

❖ ❖ ❖

والـــبراري تـــسرح الغـــزلان فيهـــا والظبـــاءُ
ويـــرف الطـــير نـــشوانَ ويلهـــو مـــا يـــشاء
أســـكرته النـــسمة البكـــر وأغرتـــه الـــسماء

❖ ❖ ❖

والأزاهـــير كـــساها الطـــل ســـحراً وجـــمالاً
فتثنّـــــت تمـــــلأ الـــــوادي عبـــــيراً ودلالا
وجـــرى النهـــر عـــلى أقـــدامها عـــذبا زلالا

❖ ❖ ❖

كـــــلُّ مـــــا في أرضـــــنا يـــــأنف أسرا
ويريـــــد العـــــيش في دنيـــــاه حـــــرّا
فلـــماذا نقبـــل الـــضيم وطعـــم العـــيش مـــرا؟!
يا بلادي؛ لَنْ تكونَ الطير والغزلان أسمى من بنيكِ
ســـنلاقي المـــوت أو نحيـــا أبـــاة الـــضّيم فيـــك

يا بلادي

(السويداء 1943)

حنين

نعم، أنـا أحببـت هـذي الربـوعَ وبـــسمةَ أجوائهـــا الـــصافيةْ
وأحببـت فيهـا عبـيرَ الزهـور وأنـــشودةَ القمـــح والـــساقيةْ
ولكـــنّ لي خافقـــاً لم يـــزل يحـــــن إلى بقعـــــة نائيـــــةْ
إلى واحـةٍ في صـميم القفـار معفـــــرة المنحنـــــى خاليـــــةْ

❖ ❖ ❖

رُبـــا النبـــك! هـــل تـــذكرين الخيـــام لـــديك مبعـــثرةً جاثيـــة؟!

تحـــاول شمـــسك إحراقهـــا وتـــصفعها ريحـــك الـــسافيةْ
وقومـــاً عـــرينُهُمُ شـــامخٌ رهيـــب بـــسمرته القاســـيةْ
أبَـــوْا أن يـــروْهُ لغـــير العـــلا وأن يـــستبدّ بـــه الطاغيـــةْ
فخلـــوهُ مخـــضوضبَ الجـــانبين وأحـــشاء روّاده داميـــةْ

أتَـــوْك، و يـــا حبـــذا واحـــةٌ مـــن القيـــد أو ظِلّـــهِ عاريـــةْ
وطفـــلاً ســـباه جـــلالُ القفـــار وأفياؤهـــا في المـــسا ضـــافيةْ
صـــغيراً، بـــلا مئـــزرٍ أشـــعثا يـــروح، ويغـــدو مـــع الماشـــيةْ
رعاهـــا، ليُـــشبعَ في نفـــسه اشـــتياقاً إلى خلـــوة هاديـــةْ
يـــردد مـــا جـــال في رأســـه وأغنامُـــهُ ترتعـــي ثاغيـــةْ

فتــصغي الــصحارى لأنــشودةٍ مخلّعـــة الـــوزن والقافيـــةْ

❖ ❖ ❖

نعــم، لــو رَجَعــتُ إلى واحــةٍ معفـــرة المنحنـــى خاليـــةْ

لقبّلتُهـــا قبلـــة العاشـــقين وأرســـلتها زفـــرةً كاويـــةْ

تـــذوِّب في حرِّهـــا الـــذكرياتِ وتـــشفي حنينـــي إلى الباديـــةْ

(السويداء 1944)

الحدود المحطمَة

اليـــــومَ، نفتـــــتحُ الطريـــــقَ فـــــلا هجـــــوعَ ولا رجـــــوع

❖ ❖ ❖

اليـــــــومَ، لا حـــــــدٌ يحـــــــاول أن يـــــــصدّ ولا قيـــــــودْ

ســـــقطت مهـــــشمة، تحـــــاول أن تعـــــود، ولـــــن تعـــــود

لتظـــــــل أمتنـــــــا موحـــــــدة العـــــــزائم والجهـــــــود

اليوم نفتتح الطريق

نمـــــشي علـــــى أشـــــلائنا ودم الـــــضحايا الأبريـــــاء

وجماجـــــم الأحـــــرار والأســـــد الكـــــماة الأوفيـــــاء

مـــن خـــضبوا الـــسفح الرهيـــب، وعطّـــروا كبـــد الـــسمـــاء

اليوم نفتتح الطريق

وغـــــداً سنمـــــشي أمـــــةً عربـــــاء رائـــــدها النظـــــام

والتـــــضحيات، وهمـــــةٌ شـــــماء تـــــأبى أن تـــــضام

ونـــــسير بالعهـــــد الجديـــــد، إلى الأمـــــام، إلى الأمـــــام

اليوم نفتتح الطريق

(السويداء 1945)

أغنية أمّ

كانت حفلة ساهرة وأقداح...

نـــم يـــا حبيبـــي نـــم في حـــــضنِيَ الـــــدافي
بالمـــــاء قـــــد يحلـــــمْ جفـــن الظـــما الغـــافي
والجـــــرح بالبلـــــسمْ نـــم يـــا حبيبـــي، نـــمْ

❖ ❖ ❖

دع رأســـــك الحـــــيرانْ يغفـــو عـــلى الأضـــلاعْ
لـــن يقلـــق الوســـنان قلـــب كقلبـــي ضـــاعْ
بـــين الأسى والهـــمْ نـــم يـــا حبيبـــي، نـــمْ

❖ ❖ ❖

جوعـــانُ؟ مـــا ذنبـــي ثـــديي غـــدا خرقـــةْ
أحســـستَ يـــا حبـــيّ في ضـــمّه حرقـــةْ
وقـــسوةَ العلقـــمْ نـــم يـــا حبيبـــي، نـــم

❖ ❖ ❖

بـــردانُ؟ صـــدري نـــارْ فالجـــأ إلى صـــدري
زادت يـــدُ الأقـــدار جمـــرا عـــلى جمـــري

في خـــــــافق مفعـــــــمْ نـــم يـــا حبيبـــي نـــم

❖ ❖ ❖

الحـــــــي في أفـــــــراحْ ضـــــجوا مـــــع اللحـــــنِ

والعـــــــود والأقـــــــداح أزعجـــــــتَهم يـــــــابني

وأنـــــــت لا تعلـــــــمْ نـــم يـــا حبيبـــي، نـــم

❖ ❖ ❖

لا تُقلـــــــقِ الـــــــسمارْ بـــــــالنوح والزفـــــــرةْ

واحفـــظ حقـــوق الجـــار فالجـــــار في سَـــــكْرَهْ

لا يـــــــذكر المـــــــأتم نـــم يـــا حبيبـــي، نـــم

(بيروت 1948)

بعد النكبة

هنيئـــــاً لمـــــن أغمـــــض المقلتـــــينْ
عـــــلى جرحـــــه الـــــدافق الطـــــاهرِ
ومـــــرّ ســـــعيداً فلـــــم ينتظـــــر
ليلقـــــى جراحـــــا بغـــــير دمـــــاء
ونزعـــــا وئيـــــداً بـــــلا آخـــــرِ
ووجهـــــا يحـــــاول أن يـــــستترْ
ولـــــو بـــــالتراب، فيـــــأبى الـــــتراب
ويُعـــــرض إعراضـــــة الـــــساخرِ

❖ ❖ ❖

وكانـــــت لنـــــا نـــــشوةٌ لا تحـــــدُ
يهدهـــــدها القَـــــدَحُ المـــــترعُ
ويـــــرقص بـــــين يـــــديها الرجـــــاء
وجاشـــــت، ولجّـــــت بنـــــا الكبريـــــاءْ
وغنـــــى لهـــــا الـــــسيف والمـــــدفعُ

❖ ❖ ❖

وكانـــــت جبـــــاه تحـــــكّ الـــــسماءْ
ويـــــوم كيـــــوم النـــــشور اســـــتفاقت
وثـــــارت بـــــه الأنفـــــس الهجـــــعُ
وكنـــــا نلاقـــــي لقـــــاء العـــــروس
مواكـــــــبَ أخوتنـــــــا الداميـــــــةْ
وحتـــــى النـــــساء أبَـــــيْنَ العويـــــل
وفـــــــرّت دمـــــــوعٌ فكفكفنهـــــــا
وأخفـــــــين حرقتهـــــــا الكاويـــــــةْ
وكـــــان اعتـــــزاز وحلـــــم جميـــــلْ

❖ ❖ ❖

ومـــــرّ الزمـــــان مـــــرور الـــــسحاب
عـــــلى روضـــــةِ الأمـــــل الزاهـــــرِ
ولمـــــا انتبهنـــــا عرانـــــا الـــــذهول
وكنـــــا نظـــــن بأنـــــا بـــــشرْ
وإذ بـــــالجموع قطيـــــع يـــــساق
وخلـــــف الرعـــــاة رعـــــاة الرعـــــاة
وبـــــين العـــــصيّ عـــــصيٌّ أُخَـــــرْ
وإذ بالـــــدماء جزافـــــا تـــــراق
عـــــلى مـــــذبح الطمـــــع الأشـــــعبي
وأقـــــدام أوثانـــــه والـــــصورْ

ولاح الرجـــــاء خـــــضْيباً يـــــئن
يحـــــــرّر خُطْواتـــــــه مـــــــثقَلا
ومالـــــت جبـــــاه، وأغـــــضت مقَـــــل
فهـــــل عـــــاد ذاك الزمـــــان الرهيـــــب
يعـــــد لنـــــا الـــــرفش و المعـــــولا
لنمـــــضي نـــــدوس بقايـــــا الأمـــــلْ
فنـــــترك مـــــن مـــــات نهـــــب النـــــسور
ونـــــــــــدفن أحياءنـــــــــــا أوَّلا؟.[1]

❖ ❖ ❖

ولكـــــنْ أحـــــسُّ ارتجـــــاف الـــــضميرْ
وشـــــــبهَ اشـــــــتياق لأن ينفجـــــــرْ
ويبعـــــث مـــــن جانبيـــــه الحمـــــمْ
ليـــــدفن تحـــــت اللهيـــــبِ العـــــصيَّ
وأذيـــــالَ ليـــــلٍ طويـــــل قَـــــذِرْ
ويـــــسمع مـــــن راح يـــــشكو الـــــصمّمْ
ويمـــــشي القطيـــــع ولكـــــن قطيـــــعْ
مـــــن الـــــضارياتِ ذواتِ الظُفُـــــرْ

(بيروت 1948)

غداً

غـــــداً في غـــــدٍ تهـــــدأ العاصـــــفةْ
وتبـــــــــسم جنتنـــــــــا الوارفـــــــــةْ
وينـــــــشد في غـــــصنه العنـــــــدليبْ
ويهـــــدأ هـــــذا الـــــزئير الرهيـــــبْ

❖ ❖ ❖

غـــــدا تـــــتلاشى الـــــسحاب الجهـــــامْ
وينـــــــزاح هـــــذا الظـــــلام، الظـــــلامْ
ويطـــــوى الحديـــــد عـــــلى نفـــــسهِ
وينتحـــــر الـــــسوط مـــــن يأســـــهِ...

❖ ❖ ❖

غـــــدا تـــــشرق الـــــشمس في أرضـــــنا
وفيهـــــــا اشـــــــتياقٌ إلى روضـــــــنا
فتلقـــــى هـــــزاراً مهـــــيض الجنـــــاحْ
وغـــــصناً حطـــــيماً بكـــــف الريـــــاح
وغـــــصنا تطـــــاول بـــــين الـــــسحاب
تثرثـــــر فيـــــه بنـــــات الغـــــراب

❖ ❖ ❖

ولكـــــن، غـــــداً تهـــــدأ العاصـــــفةْ
وتبـــــــــسم جنتنـــــــــا الوارفـــــــــةْ

وتبرا الجراحْ
وتهدا الرياحْ
وينـــــــشد في غـــــــصنه العنـــــــدليبْ
ويـــــذهب هـــــذا الـــــزئير الرهيـــــبْ

مع العاصفة

(السويداء 1953)

يا شعب

يـــا شـــعبُ غـــيري تمنّـــى لـــو كـــان حطـــابَ شـــعبهْ
يـــبري الجـــذوع بفـــأس رهيفـــةٍ، رغـــم حبـــهْ
لأرضـــــه ولـــــشعبهْ
أَيأسْـــــــتَهُ، فتمنـــــــى في يأســـه، مـــا تمنـــى
وهجَتـــــــه، فتغنـــــــى كـــما يـــئن الجـــريحُ
يدوســـــه المـــــستبيح

❖ ❖ ❖

يـــا شـــعب غـــيري تمنـــى لـــــو كـان نـاراً و جمـراً
يـــشوي جبـــاه الأعـــادي أو لا، فـــبعض الرمـــادِ
في مقلـــــة المـــــستبدّ والغاضـــــب المتحـــــدّي
المـــــستخفّ بـــــشعبهْ بحقـــــده وبحبـــــهْ

❖ ❖ ❖

أمـــا أنـــا، فـــبلادي عرفتهـــا في القـــديمِ

منـــــذ انبثـــــاق النجـــــومِ
أرضـــــاً بلـــــون الرجـــــاء
تفـــــيض نـــــوراً وعِطـــــراً
فـــــتملأ الكـــــون ســـــحراً
والـــــدهرَ طيـــــب الربيـــــعِ
عرفتهـــــا في الـــــدموعِ
عرفتهـــــا في الـــــشقاء
في محنـــــة الأبريـــــاء
وفي ظـــــلام الـــــدهورِ
أرضـــــاً هـــــي الكبريـــــاء
تغـــــار منهـــــا الـــــسماء
وأمتـــــي في العـــــصورِ
رمـــــزٌ لعـــــز الكفـــــاح
تـــــشعُ نـــــوراً، ونـــــارا
وفي الليـــــالي الحيـــــارى
منـــــارةٌ للزمـــــان
وهاجـــــة فـــــوق دربـــــهْ
يـــــا شـــــعب غـــــيري تمنـــــى
في يأســـــه، مـــــا تمنـــــى
أمّـــــا أنـــــا، فرجـــــائي
أن لا يخيـــــب رجـــــائي
في شـــــعبيَ المتحـــــدي
للغاصـــــب المـــــستبد

(السويداء 1953)

الخريف

عاد الخريفْ
فللوريقات اصفرار وارتجافْ
ولهنّ في الوادي حفيفْ
مثل ابتهال الناسكين
والغيم مرتعشاً يمر
ويهيم يرسم في الفضاء
صوراً يوشيها الضياء
والذاهبون إلى القطافْ
يتسابقون ويحلمون
وعلى الدروبْ
همس الكواعب والطيوب
وبأرض بيدرنا العتيقْ
ذهب يُكَوَّم أو عقيق
وعلى السطوح وفي السماء
وعلى شريط الكهرباء
أسراب رهبان صغار
يتجمعّون، يثرثرون
وبهم إلى الدفء اشتياقْ

وبهم لهيب الذكرياتْ
لحلاوة الماضي القريبْ
للروض للعش الحبيب
ومع الغروب
يرفرفون، ويرحلون

❖ ❖ ❖

فمتى، متى يأتي الربيعْ
وتعود مَعطَرةُ الورود
وتعود أسراب السنونو
وبها إلى بلدي حنين؟!

(السويداء 1953)

ذكريات

(ذكريات ... صور من حياة الشاعر)

أرهَـق الـدهرُ همتـي وشـبابي وسـقتني كفـاه مـرَّ الـشرابِ

وتـراءى غـدي ظلامـاً، وآمـالي سرابـاً يغـوص خلـف سرابِ
لا تلمنـي، فقـد ولـدت مـع الخـوف شريـداً، ملفعَّـاً بالـضبابِ

هائمـاً، تطلـب الحـرابُ دمـائي وشـفاهُ الغـزاة خَلْـفَ الحـرابِ

ونـسورٌ مـن الحديـد تـدّوي نـاثراتٍ أشـلاءنا في الـروابي

زارعـاتٍ دروبنـا بالمنايـا والليـالي برعـشة وارتقـابِ

❖ ❖ ❖

حملتنـي أمـي مـع النـسوة الـثكلى وهامـت مـذعورةً في الـشعابِ

في كهوف الذؤبان ترجو مـلاذاً لبنيهـا، مـن الطغـاة الـذئابِ

والحفـاة الأيتـام حـولي جيـاعٌ والأيـامى في غـصة وانتحـابِ

لم يعـدْ، لم يعـد أخـوك، وتـبكي ثـم أبـكي بدهـشةٍ وارتيـابِ

❖ ❖ ❖

وأبي عاصـبُ الجبـين جـريحٌ وعـلى نـصله بقايـا خـضابِ

يتغنـــى بأنـــه والميـــامين مـــن الـــشيب والأبـــاة الـــشبابِ
أَشَـــهَدُوا أن (في الـــسويدا) رجـــالاً، أُسُـــداً فـــوق صـــافنات عـــرابِ
عـــصبةٌ يعربيـــة الأصـــلِ لم تعـــرفْ ذراهـــا رطانـــةَ الأغـــرابِ
للمـــروءات، للنـــدى، لنـــداء الثـــار، للطيـــب، للرزايـــا الـــصعابِ

❖ ❖ ❖

وتنقَّلـــتُ في الخيـــام مـــع الحرمـــان في مهمـــهٍ بخيـــلِ الـــسرابِ
هَجَرْتـــهُ حتـــى الـــسباعُ، وحتـــى قطـــراتُ النـــدى وظـــلُّ الـــسحابِ
عـــشتُ فيـــه أجفّـــف الـــدَّمَ والـــدمعَ بأنفـــاسِ حـــرّهِ اللهّـــابِ

لا أنـــيسٌ إلا صـــهيلُ جـــوادٍ يـــشتكي مـــن مذلّـــة الأَطنـــابِ

أو نـــشيدٌ مـــن ســـاهر يبعـــث الـــشوق لهيبـــاً عـــلى أنـــين الربـــابِ
شـــوقنا للـــديار، للكـــرم، للبيـــدر، للفـــيء، للـــشذا، للـــترابِ

❖ ❖ ❖

وترعرعـــتُ، صرخـــة الثـــأر في ســـمعي، ونـــار الحقـــودِ في أعـــصابي
وبـــلادي في قبـــضة البغـــي أشـــلاء تلـــوّى في لُجَّـــةٍ مـــن عَـــذابِ

تحـت أقـدام غاصـبٍ أو دخيـلٍ أو عميـلٍ مـستحدثٍ أو محـابِ
نخـــراتٌ عروشـــهم، والغـــات بـــدم مـــن جراحنـــا مـــستطابِ

❖ ❖ ❖

وإذا رعـــشةُ الحيـــاة تـــدّوي في انتفاضـــات مـــارد غـــلاّبِ
حطَّمَ القُمقـمَ الرهيـبَ، وشـعَّتْ في محيـــاه بـــسمةٌ كالـــشهابِ

تهــزم الليــلَ، ترســم الــدربَ، تجتــثُّ بقايــا الأوثــان والأنــصابِ

يا زعيمي، يا ملهم الجيل روحا حـــــرة يعربيـــــة الأطيـــــابِ

دربُـك الـدربُ لا نحيـد، وفينـا بعض عزمٍ مـن عزمـك الوثـابِ

وإذا أنّـــت الحنايـــا، فعُـــذري أنَّ بي، من مرارة الأمس مـا بي

❖ ❖ ❖

سوف أسلو لأجل عينيـكَ أمـسي وأغنّــي غــدي لحــونَ الــشبابِ

(السويداء 1959)

أبو رمّانه

أبي، قلـــتَ: «عـــلاء الـــدين» أســـطورةُ قـــصاصِ
فهـــل هـــذي القـــصور البـــيض، يـــا ربيّ، أســـاطيرُ؟!
أمـــا كنـــا هنـــا أمـــسِ، وكانـــت ملعبـــا قفـــرا
وغابـــاتٍ مـــن الـــصبّار يُبـــدي شـــوكُها الـــشّرا؟
يخـــاف النهـــر مرآهـــا فيلـــوي خائفـــاً يجـــري

❖ ❖ ❖

ذكـــرتِ الأمـــس يـــا بِنْتـــي فـــماذا كـــان في أمـــسِ؟
أمـــا عـــضك نـــاب الجـــوع - والحرمـــان واليـــأسِ؟
فبعنـــا مـــا تبقّـــى مـــن طيـــور القـــن للجـــارِ
ومـــسحّتُ الـــدموعّ الحمـــر في عينيـــك يـــا بِنْتـــي،
لأنـــاّ لم نعـــد نلقـــى لنـــا في بيتنـــا حبَّـــا
أمـــا أدمـــت ســـياطُ الـــريح وردَ الخـــد، والـــبردُ
وعـــاد المعطـــف البـــالي عـــلى جنبيـــك ينقـــدُّ؟
فأشـــعلنا لـــك الموقـــد مـــن كـــرّاس أشـــعاري
ومن أخشاب صندوقٍ، تلاشت خلفه ذكرى من الماضي
ورثناهـــــا كمـــــا ينتثـــــر العطـــــرُ...

❖ ❖ ❖

ذكـــرتِ الأمـــس يـــا بِنْتـــي فـــماذا كـــان في أمـــسِ؟
ألم تهـــدم لذيـــذَ الحلـــم في جفنيـــك ضوضـــاءُ؟

وفـــوضى مـــن رجـــال الحـــيّ والنـــسوان، هوجـــاءُ
عـــلى أعتـــاب خبّـــاز، صـــفيق الوجـــه صـــخّابِ
وفي أعقـــــــاب برميـــــــلٍ، أذلاّءَ تبعنـــــــاه
وللـــــشرطي تجـــــديفٌ، وللحـــــوذيّ إرغـــــاءُ
وبي عـــــن رنـــــة الأجـــــراس في المعهـــــد إغـــــضاءُ

❖ ❖ ❖

ذكـــرتِ الأمـــس يـــا بِنْتـــي فـــماذا كـــان في أمـــسِ؟
جراحـــــاتٌ وأشـــــلاء وعهـــــدٌ قـــــاتمٌ مـــــرُّ
وخلـــفَ الظلمـــةِ الخرســـاءِ طيـــفُ المـــوت يجـــترُّ
وكنـــا في ظـــلال الخـــوف نبنـــي مـــن بقايانـــا
ومـــن أكبادنـــا، هـــذي القـــصور البـــيض للنـــاس
ومـــن عُريـــكِ يـــا بنتـــي فرشـــناها لهـــم خـــزّا
ومـــن عـــينٍ جفاهـــا النـــوم أنـــواراً زرعناهـــا

❖ ❖ ❖

نعـــم، هـــذي القـــصور البـــيض مـــن أكبادنـــا تُبنـــى
فلـــن نبقـــى كـــما كنـــا عبيـــد الـــذل والجـــوعِ

(دمشق 1953)

في غدٍ تزحف الجموع

أشرقَ الفجـرُ، فالـدروبُ ضـياءُ وأناشـــيدُ عـــزَّة وحـــداءُ
وانطــوى الليــل، ليلُنــا القــاتم الــدامي وفــرَّتْ ســياطُه الرعنــاءُ
وتلاشــت مــع القيــود أســاطيرُ حـــــدودٍ رهيبـــةٌ نكـــراءُ
وتهــادى الغــد الــضحوك طليقــاً و بــه مــن ســنا الرجــاء ســناءُ
إنهــا فرحــة الحيــاة، فميــدي يــا روابي، وهلــلّي يــا ســماءُ
وتَغَنَّـــيْ بـــأمتي، إنّهـــا عـــادت وإنَّـــا في أرضـــنا طلقـــاءُ

❖ ❖ ❖

ضــلّ قــومي في مَهْمَــهِ الأمــس فانساحوا فلولاً، يقودهم غربــاءُ
غَـرَّهمْ خـادع الـسراب فهـاموا وتهــاوَوْا، وهــم جيــاع ظــماءُ
كلــما ضــجَّ، أو تــساءل ركــبٌ عــن مــصير، تنمــرّ الأجــراءُ
واســتحثّوا مكــارم الــصبر فيــه وتعالــت صــلاتهم والــدعاءُ
وإذا مــا الحــسام جُــرِّدَ للحــق وجاشــت بــصدرنا الكبريــاءُ
وتهــاوت (بميــسلون) الأضــاحي وروت ســفحنا الرهيــبَ الــدماءُ
أومــؤوا للغــزاة، أنــا عــصاةٌ وهــمُ في بلادنــا الأوصــياءُ
مَزَّقــوا شــعبنا، ليبنــوا عروشــا نخـــراتٍ يـــسوسها دخـــلاءُ

يـــا لـــسخريّة الزمـــان، رعـــاةٌ وذئـــابٌ في أرضـــنا حلفـــاءُ!
خـسئوا لم نكـن قطيعـاً، وإنـا أمـــةٌ، رغـــم أنفهـــمْ، عربـــاءُ
إن غفت حقبـةٌ، فهـذي الليـالي تحـت أقـدام فجرنـا أشـلاءُ

❖ ❖ ❖

أيها التـائهون في مهمـه الأمـس سرابٌ دروبكْـــــم وشـــــقاءُ
أزهـــرت واحـــة العروبـــة وافـــترَّتْ وماســـت جنانهـــا الخـــضراءُ
وتثنّـت فيهـا الجـداول سـكرى وترامـــت في ربعهـــا الأفيـــاءُ
أَقبِلوا، أيها الحيـارى، فهـذا الفجـرُ طَلْـــقٌ، مـــشوَّقٌ، وضّـــاءُ
دربُ حرّيـــةٍ يباركهـــا المجـــدُ وتبنـــي صروحَهـــا الـــشهداءُ
دربُ توحيـــدِ أمَّـــةٍ جبلتْهـــا مـــن عبـــير المكـــارم العليـــاءُ
كلـما راعهـا الزمـانُ، وهـزّت جانبيهـا العواصـف الهوجـاءُ
أنبـتَ اللّه مـن ثراهـا حـساماً فيـه مـن عـزة الإلـه مـضاءُ

❖ ❖ ❖

في غـدٍ تزحـف الجمـوع لتبنـي بيـديْها مـا هـدّم الأعـداءُ
وحـدةٌ مـن هُـداتها الـصِّيد (شـكري) و(جـمالُ) المظفَّـر البنّـاءُ
الـصناديقُ، لاقـتراعٍ فـضولٌ والحنايـا هتافُهـا اسـتفتاءُ

(السويداء 1958)

يا حَبّذا جبل الريان

مـــلأت دنيـــاك أشـــعاراً وألحانـــا

فزدتنـــي بالغـــد المخـــضرّ إيمانـــا

يـا شـامخاً في سـما حـوران منتـصباً

للعـــرب حـــصنا، وللعليـــاء عنوانـــا

إن ينطفـــئ فيـــك بركـــانٌ، فقبـــضتنا

قـــد فجرتـــك عـــلى الطغيـــان بركانـــا

يحيـــي النفـــوس إذا ارتجـــت عزائمهـــا

ويمـــــلأ الليلـــــة الظلـــــماء نيرانـــــا

فـــالفجر مبتـــسمٌ، والركّـــب منطلـــقٌ

والطـــير ينـــشد في الأجـــواء نـــشوانا

(يـــا حبـــذا جبـــلُ الريـــان مـــن جبـــلٍ

وحبـــذا ســـاكن الريـــان مـــن كانـــا)

❖ ❖ ❖

بوركـت يـا مـوطن الأحـرار، ملتفعـاً

بالغيـــث حينـــاً، وبـــالنيران أحيانـــا

أبيْـــتَ أن تنحنـــي يومـــا لطاغيـــةٍ

أرادنـــا في ربـــوع الـــشام قطعانـــا

أغـرى بنـا القـوة الهوجـاء فانطلقـت

بـــأمره تمـــلأ الآفـــاق أحزانـــا

لو كـان غـيرُ بنـي قـومي لمـا وطئـوا

وكـــرَ النـــسور وأدمَـــوْا فيـــه عِقبانـــا

ذكـــرى أكتّمهـــا جمـــراً عـــلى كبـــدي

مـــن أجـــل مـــن كللـــوا بالنـــصر قتلانـــا

واســـتأجر القلـــمَ البـــاغي وألْـــسنَةً

كانـــت لـــه في النـــضال المـــرّ أعوانـــا

تجـــاهلوا شـــمماً فينـــا ومكرمـــةً

وصـــفحةً في صـــفاء الـــسيف عريانـــا

بالمـال عـصّب عينـيهم، فـما خجلـوا

أن يطلبـوا عـن ضـياء الـشمس برهانـا

وأتخـم الـسجن والمنفـى بمـن رفـضوا

أن يخـــــدموه طواغيتـــــا وعبـــــدانا

وفـــرَّق الـــتهم النكـــرا وأبـــدعها

وكـــــاد يلـــــصقها زوراً وبهتانـــــا

واســتاق منـــا، يُرجّـــي عفـــوَهُ، نفـــراً

خبّـــاً، ومستـــضعفا غـــرّا، وربّانـــا

وخـــاملا، غـــرَّه الكـــرسيُّ، فانقلبـــتْ

عـــلى محيـــاه كبريتـــاً وقطرانـــا

فجلجلـت في سـما الـشهباء عاصـفةٌ

عربـــاء تحْطِـــمُ أنـــصابا وأوثانـــا

تمـدّها مـن حمـى الأحـرار زغـردة

فارتـــاع مرتجفـــا، واصـــفرّ حيرانـــا

وانـساب تحـت سـتار الليـل منهزمـاً

لـــصاً يجـــرّر أســـلابا وأدرانـــا

❖ ❖ ❖

شبلَ الجزيرة، هذا الضيف، معـصمه

لمــا يــزل بــدم الأحــرار ريانــا

عُرْفُ الضيافة أن تحمي أخـا شرفٍ

لا أن تجير خـضيبَ الكـفّ خوّانـا

تغـيرّتْ فيـكِ يـا صـحراءنا قِـيَمٌ

أيــامَ أمــسيت (للــدولار) ميــدانا

❖ ❖ ❖

مرحى لكـم يـا أبـاة الـضيم في بلـدٍ

يلقــاكُمُ رغــم دامــي الجــرح، جـذلانا

عدتم، وعاد الربيع الطلق، وانقـشعت

ظلامــــةٌ أوغلــــت إثمــــاً وعــــدوانا

(**أبــا طــلالٍ**) هنيئـاً مــا ظفــرتَ بــه

يــا صــارماً في يــد العليــاءِ مــا هانــا

أبــوك اســماك (ســلطاناً) وصــدّقه

ربٌّ أرادك يــــوم الــــرّوع **ســــلطانا**

(السويداء 1954)

مختارات من ديوان
اللّه والغريب

أغنية الخريف

لم يزل للحَوْرِ أوراقٌ
تغنّي في الفضاءْ
راقصاتٍ، حالماتٍ بالبقاءْ
وغداً يحملها الريحُ، ويذروها الشتاءْ
فلماذا لا نغنّي
قبل أن تَحْمِلَنا ريحُ الشتاء؟

❖ ❖ ❖ ❖

لم يزلْ للنّحْل شوقٌ للزهور
توقظ الفجرَ أغانيه وأسرابَ الطيور
وعلى ألحانِهِ يغفو الضياء
وغداً يحمله الريح، ويذروه الشتاء
فلماذا لا نغنّي
قبل أن تحملنا ريح الشتاء؟!

❖ ❖ ❖ ❖

والسنونو لم تزل تمرحُ في الجو اللطيفْ
لجناحيْها حفيف
مثلُ منديلٍ حريريٍّ إذا هبّ الهواءْ
ولها كلَّ صباح ومساء
زقزقات وغناءْ
وغداً يحملها الريح، ويذروها الشتاء
فلماذا لا نغني
قبل أن تحملنا ريح الشتاء؟

❖ ❖ ❖ ❖

وإذا جاء الشتا، طاب الغناء
فالسواقي مُنْشدات والفضاء
ولأجْياد الرياحِ المسرعات
غَضْبَةٌ حينا، وأحياناً لحونٌ شادياتْ
وعلى السطح لزخاتِ المطرْ
مثلُ أنغام الوترْ
فيميس الغابُ ريَّاناً طروبْ
ويفيضُ البِشْرُ في الكوخ الكئيب
فلماذا لا نغنّي مثلما تشدو السواقي في الشتاء
وتُغنّي الريحُ والأمطارُ ألحانَ السماء؟

(بكين – تشرين أول- 1972)

موشح

أغزالةَ الوادي، ارقصي طربا
إن الذي تخشينه ذهبا
لمَّ الشباك، وعاد مكتئبا
لمّ الشباك
لمّا رآك
ومضى يجرّ الخطو منتحبا

❖ ❖ ❖

قد كان يأمل أن يراكْ
بين الصنوبر والأراك
قلقاً تشدّ على الشباك
حتى بَدَوت.... وكان مرتقبا
وتلفّتَ الجيدُ الجميل
وتطلّع الطرف الكحيل
فإذا الفؤاد هو القتيل

❖ ❖ ❖ ❖

باللّه لا تجْهز على كبدي
هذي الشباك رفعتها بيدي
وامسح جراحاتي ببسمة غافرِ

يا ساحري وارحم فؤاد الشاعرِ

إن شئته مترهّبا

أو شئته مترقبا

أو شئت أن تحنو عليه فمرحبا

العودة من الحقول

الغيم في الأفق البعيدْ
ينساب في لون الورودْ
والطيرُ أغفى، والنجومُ
تُطلُّ في حذرٍ شديد
ومن الحقول تعود أسرابُ الصبايا والشباب
والقبّعات مزيّناتٌ بالزهور وبالتراب
يتحدّثون ويبسمون
ورأيتُ شيخاً لم يزل
يحنو، ويغرفُ بالدلاء
فسألتهُ ماذا عليك
لو استرحتَ مع المساء؟
فأجاب، والقدمان ترتجفان من ثقَلِ الدلاء
أهلي سَقَوْا أرضي دماً
وأنا أروّيها بماء

الربيع في الجولان

سيرجع الربيع للجولانِ
من جديدْ
وترجع الطيور
للغابة القديمةْ
تبحث عن أعشاشها الحطيمة
وترجع الزهور
تبحث عن فراشة شريدة
ونحلة طريدة
وترجع الصغيرة اليتيمة
تسائل السفوح والحقول والبيادرْ
عن والدٍ وأخوةٍ ظلوا بلا مقابر
مرَّت على أشلائهم كتائبُ الحديد
فدمّرَت أشلاؤهم كتائبَ الحديد
وانتصر الشهيد
لأنه لم ينتظر أوامر الهزيمة
وعندما ستنحني الصغيرة اليتيمةْ
لتقطفَ الزهور

وتنثر الزهور في المقابرْ
أو ما تظن أنها مقابر
ستهتف الأطيارُ والأشجار والصخورُ
في الجولان:
لا تلمسي الزهور في الجولان
يا صغيرة
فكلها دماء
جذورُها دماء
أوراقها دماء
وعطرها دماء

(بكين - ربيع 1974)

رسالة إلى ولدي

(من بكين إلى ولـدي عـامر إثـر أخبـار الغـارة الجويـة الغـادرة عـلى بلـدتنا السويداء....)

يا بْني، رأيتَ النارَ لاهبةً تفِرُّ إلى السماءْ
ورأيتَ أعمدة الدخان، تموج في كبد السماء
مصبوغةً بدم النساء
بدم النساء الحانيات على رضيع في السرير
ورأيتَ أشلاءَ السرير
تغيبُ في السُّحُبِ الرهيبةْ
النارُ تحرقها، وتذروها على الدار الكئيبةْ

❖ ❖ ❖ ❖

وسمعتَ دمدمة المدافع والقنابل في المدينةْ
وكأنّما البركان عاد يفجّر النار الدفينة
ناراً تؤججها الضغينة

❖ ❖ ❖ ❖

وعلمتُ أنك قد رجفتَ
وأن جفنك لا ينامْ
ماذا يقول اللاجئون

وبيتُهم مزقُ الخيام
أطفالهم لا يرجفونْ
بل يجمعون أكفّهُمْ
ويهددون

❖ ❖ ❖ ❖

كنَّا صغارا، يا بُنيَّ
نعيش في لهبِ المعامعْ
الجوُّ يمطرنا لهيباً
والبنادقُ والمدافع
كنا نسمّيها الغزالةْ
ونقول أقبلت الغزالة
بين طيات الغمام
وكأنها طير الحمام
لم نرتجف يوماً
ونحن الصامدون الظافرون
ولعلّكم لا ترجفون

❖ ❖ ❖ ❖

يا بْني، دروبُ النار
ما زالت مزمجرة طويلةْ
ستظل تحرقنا
وتأكلنا قتيلا أو قتيلة

حتى تروّيها سحائبُ من دماء الثائرين
والغادرين
القاعدين على الخزائن والذخائر والسلاح
يدعون للثوار بالنصر المؤزَّر في الكفاح

❖ ❖ ❖ ❖

اعرفْ عدوك يا بُنَيّ:
الشاربون دماءَ شعبك
يا بُنَيَّ هم الغزاة
والبائعون دماء شعبك
يا بُنَيَّ هم الجُناة

بكين-1972/12/12

(توفي الدكتور المهندس عامر سلامة عبيد إثر حادث مفجع بعد رحيل والده)

الندم الكبير

(في رثاء عبد الناصر)

بقلوب باكيات
ودموع داميات.. شيّعوك
بنشيج.. بذهول.. بنحيب
بعويل الأمهات الثاكلات
والعذارى الوالهات
عندما تغمض كف الموت أجفان الحبيب
ودّعوك
حملوا نعشك موجاً من أكفٍّ راجفة
وملايين القلوب النازفة
مادت الأرض كما كانت تميد
عندما كان «جمال»
مشرق الوجه تحيّيه الرجال
ويحيّيها «جمال»
فيحيل الظلمة النكراء فجراً
ورماد العزم جمرا..

والأعاصير رياحاً وجناحاً
وشراعاً، كلما مزقه مخلب إعصار مدمّر
رقّعته أنمل الربان بالجفن القريح
وخيوط من ضيا العينين والقلب الذبيح
ويحيل الآهة الخرسا، زئيراً ودوياً
وهتافاً عربياً وحدوياً
والجراحات وروداً تتبسّم
ورحيق الكأس في ثغر الغزاة الهوج علقم

❖ ❖ ❖ ❖

لم تعد أسطورة النّسر الذي حطّم صدره
ورمى القلب المدمّى لفراخه
لم تعد نسج خيال
بعد أن أهدى «جمال»
قلبه الدّامي المقرّح
لجماهير مهيضات الجناح
لم تزل تحبو على درب الكفاح

(دمشق 1970)

العيد في بكين والغريب

البدر في السماءْ
صينية من فضةٍ
وذهبٍ وضاءْ
في خيمة سحريّةٍ
شفافةٍ زرقاءْ

❖ ❖ ❖

لا غيمَ إلا سحبٌ
كأنها غلائل الحريرْ
كأنها دخان سيجارهْ
وللنسيم الرطب وشوشاتْ
تداعب الغصونْ
وللسكونِ روعةُ السكونْ
فتخفق القلوبُ والجفونْ
لبهجةِ الضياءْ
ينسابُ شلّالاً من السماءْ
وفرحة اللقاءْ
في صفاء!

❖ ❖ ❖

والجدّة العجوزْ
تبسم للأبناء والأحفادْ
كوردةٍ قديمةٍ

تغمرها براعم الأورادْ
ويجلس الكبار، فوق الأرض، والصغار
دائرة بهيجة كأنها استدارة القمر
ليفرحوا.. ويأكلوا.. ويشربوا معاً
نخبَ اجتماعِ الشمل في صفاءْ
في الليلة السحرية القمراءْ

❖ ❖ ❖

أما أنا فليس لي في غربتي جليسْ
وليس لي أنيسْ
إلا خيالٌ شاعريٌّ حزينْ
يوقد في جنبيَّ نار الحنينْ
فأغمض الأجفانْ
وتحرق الخدين دمعتانْ

❖ ❖ ❖

عفوك يا بدرُ
إن أغفلت عيناي هذا السنا
فإني هنا!...
لكن أفكاري وقلبي... هناك!

(بكين 1972/9/22)

كتب الأديب مجموعة مِن القصائد النقدية الساخرة التي كانت تُنشر في مجلة «المضحك المبكي»[7]

قليط

(فرع من بردى قليل المياه شديد القذارة)

قيل مالي أرى «قليط» عَبوسا كالحاً حاملاً من الوحل وزرا
يأنف الأنفُ أن يمر بشطّيهِ وتمضي العيون تنظر شزرا
بعد أن فاضَ بهجةً وجمالاً وعلى الربوتين سحراً وعطرا
يسبح البدْر فيه بين الدراري والصبايا بمائه تتمرّى
فأجاب النهر الذي خلّدته آلهات الفنون، نثراً وشعرا:
يا بَنِي هذه المدينة إني لا أرى في نقيض حاليّ سرا
كيف أصفو؟ وكلّما اجتاز سيلي فيضَ بالوعة، وقعت بأخرى

حاميها حراميها

لطمتْ على الخدين طاهيةٌ وتطلّعت في الدرج محتارةْ
لمّا رأت آثار قاضمةٍ في جبنة بيضاء مختارةْ
جاءت، وألقت فيها هرتها لتردَّ عنها نكبة الغارةْ
لكنها عادت، فما وجدت لا الجبنة البيضا، ولا الفارةْ

عتاب اللصوص

شقيّان مرّا بشيخ عجوزٍ على فرَسٍ بالهوا تعثُرُ
وفي خرجه زاد قومٍ صيامٍ جياعٍ، وشمسُهُمُ تُدْبِرُ
فصاحا، ترجّلْ، ولما أبى رماه المسدسُ والخنجرُ
ومالا على الخرج، فاستأنسا بزادٍ، ولكنْ دماً يقطرُ
فمدّ يداً أحدُ المجرمين فأوقفه المجرم الآخرُ
وخاطبه عاتباً غاضبا أقبلَ أذان العشا تُفطرُ؟

الحصان والذئب

مرّ الحصان بـذئب صـاده شركٌ ... من الحديد، فأقعى باديَ الحرَدِ
عوى، وكـشّر عـن أنيابـه غـضباً ... وبين جنبيـه نـار الحاقـد النكـدِ
فقـال صـاحبُنا، والحلـمُ شـيمته ... رِفْقاً بنفسك يـا سرحـانُ، واتئـدِ
ما كنتُ أخشاكَ والميـدان متـسعٌ ... فهل أخافكَ في الأغلال والزردِ؟

الجرذان وخابية الحلوى

ألفـــى بنـــو الجـــرذان خابيـــةً ... فيهـــا مـــربّى التـــين والرُّطَـــبِ
لكـــنهم مـــا حققـــوا أربـــاً ... إلا بحيلـــــةِ فِتْيـــــةٍ نُجُـــــبِ
أدلَـــوْا ذيـــولَهُمُ، وكـــم فرحـــوا ... بحـــلاوةٍ تـــأتي بـــلا تعـــبِ
وإذا بـــصوتِ فـــويرةٍ تركـــت ... تلك الجموع، تـصيح في غـضبِ
مـا هـذه الأعـمال مـن شـيمي ... تعـــبٌ بـــلا شَـــبَعٍ ولا طـــربِ!
فتطلّـــع الجـــرذانُ كلُّهُـــمُ ... فـــإذا بهـــا مقطوعـــة الـــذنبِ!

الصياد والكلب

طـارد الـصيادُ ظبيـاً فـوق مهـرٍ يـسبق الـريحَ ربيـبِ الفلـوات
مـسرعاً خلـف سـلوقيّ لـه ضامرِ الخصر عظيم الوثبات
أمعنوا في العَدوِ، والشمسُ لظىً ورمـال البيـد شـبهُ الجمَـرَات
وإذا بـالظبي يهـوي فجـأةً يجـرع المـوتَ مريـرَ الـسكرات
وتـردّى الكلـبُ والمهـر معـاً فانثنى الصياد يُبْدي الحَسرَات:
رحـمَ اللّه جـوادي إننـي سـقتهُ بالـسوط سـوقاً للمـمات
وعفـا عـن ذلـك الظبـي الـذي فرَّ مـن وَقْـع الـسهام القـاتلات
إنمـا هـذا الـسلوقي فـما مـات، إلا في الأذى والمخزيـات
لـست أدري مـا الـذي يدفعـه طبعُهُ، أم طمـعٌ في الفـضلات؟!

الموظف

قـالوا: الموظـف، قلـت: طابـةْ لا مـــــستقرَّ ولا مهابـــــةْ

حينـاً يُـدحرَجُ في الحـضيضِ وتـــارةً فـــوق الـــسحابةْ

إِنْ يحـــــضنوه إذا هـــــوى فلطالمـــا لبطـــوا جنابـــه

واللاعبـــــون فنـــــونُهم بـــين الدعابـــةِ والغرابـــة

هـــذا «يـــشوط» بجـــدّةٍ ويلـوك مـن حنـقٍ سـبابه

ويـــــروغ ذاك منـــــاوراً ويـــروح يلـتمس الإصـــابةْ

وسُـــئِلْتُ :كيـــف نُريحُـــهُ فأجبـــتُ: لا أمـــلُ لطابـــةْ

إلا إذا تَلِفَـــتْ، أو انفلقـــتْ أو انقلبـــــتْ ربابـــــهْ!

المسرحية الشعرية
اليرموك

كتب المسرحية نثراً الأستاذ خلدون الكناني، ثم صاغها الأديب سلامة عبيد شعراً بأسلوب سلس جميل، وللمسرحية قيمة تاريخية إضافة إلى قيمتها الأدبية إذ لم تكن المسرحيات الشعرية في ذلك الوقت واسعة الانتشار في الوطن العربي، وبذلك يكون سلامة عبيد من الرواد الأوائل[8] في هذا المجال، وقد أكدت على ذلك العديد من المقالات (وضعنا إحداها مع الصور).

كتب شاعر أسمى نفسه الشاعر المستتر تقريظاً لمسرحية اليرموك قال فيه:

وروايةٍ برزت لأمة يعربٍ منظومة كلآلئٍ بسُلوكِ
لبست من الإبداع أبهى حلّةٍ يزهو البيان بنظمها المسبوك
قلْ للذي يبغي ادّخار نفائسٍ احفظ لديك رواية اليرموكِ

وفي مذكراتي كتبت عن المسرحية:

«من أجمل المشاوير مع الوالد كانت بروفات المسرحيّات، خاصّة مسرحيّة اليرموك التي مثّلت أوّل مرّة عام 1943، ثمّ كان تمثيلها يُعاد سنة بعد أخرى، في بلدات وقرى الجبل، على مسارح بعضها تاريخيّ، وبعضها

ارتجاليّ.. كان يقوم بالأدوار النسائيّة شبّان يرتدون الملابس النسائيّة، ويقلّدون أصوات النساء، عندما لا يجدون من يقبلن الظهور على المسارح..

أجملها كانت بروفا في شهبا، مدينة الإمبراطور فيليب العربيّ.. في ذلك الصباح المشمس الجميل كان عنفوان البازلت، وأصداء التاريخ، وحماسة الشباب تحفر الأبيات في تلافيف الذاكرة، لتبقى حاضرة في كل حين، قادرة على شحننا بالحماسة، والتفاؤل، كلّما شعرنا باليأس..».

«ذكّرينا» هي مقدمة للمسرحية الشعرية التي مُثلت بحضور سلطات الانتداب الفرنسي في السويداء.

ذكّرينا

ذكّرينا، فقد أَلِفْنا التصابي ورخيصَ الهوى ورجعَ الربابِ
ونسينا أيام كنا أباةً نملأ الكون بالندى والشبابِ

❖ ❖ ❖

يا ضفاف اليرموك ما لكِ أقفرتِ من الشم والأسود الغضابِ؟
يا ضفاف اليرموك ما لكِ أغضيتِ على غمرة الزمان المحابي
يا ضفاف اليرموك آن لكِ البعثُ، فميدي، وهللي يا روابي

❖ ❖ ❖

جبلي؟ هل شهدتَها وهي ترتجّ ارتجاج الرعود خلفَ السحابِ؟
مائجات، مجلجلات الهتافات، حيارى، محمومةَ الأعصابِ

تحـــت أقـــدام أمـــةٍ تطلـــب الفتـــح، وجـــيشٍ مظفـــرٍ غـــلابِ
ربـــض الـــروم فوقهـــا يطلبـــون الثـــار حمـــرَ العيـــون والأنيـــابِ

أثقلوا السفح بالحصون الرواسي وقبـــابٍ تمتـــد خلـــف قبـــابِ
وســـــلاحٍ مقعقـــــعٍ وجيـــــوشٍ «عددَ الرملِ والحصى والـترابِ»
بـــــين رامٍ ورامـــــح وأخـــــي درعٍ وحـــــرٍّ وطـــــامعٍ في نهـــــابِ
أزمعـــوا ســـحقَ أمـــةٍ تتنـــزى نزوانـــا في عزمهـــا الوثـــابِ
أمـــــةٍ يعربيـــــةٍ جبلتهـــــا راحة الدهر من صـليل الحـرابِ

❖ ❖ ❖

ذكرينـــا تاريخنـــا وعُلانـــا وأحاديـــثَ مكرمـــاتٍ عِـــذابِ
ذكرينـــا أيـــام كنـــا أبـــاةً نمـلأ الكـون بالنـدى والـشبابِ

(السويداء 1943)

سلامة عبيد والأطفال
أغنيات لأطفال بلادي

يا إخوتي الأطفال

تراقصوا ترنَّموا
في عيدكُمْ
يا إخوتي الأطفالْ
في الشرقِ في الجنوبِ في الشمالْ
في الغربِ، في السهولِ في الجبالْ
فالمجدُ للأطفالْ
وليَفرَحِ الأطفالْ.
...
أمّا أنا
فخَيْمتي
ترقُصُ في أشلائِها النيرانْ
وتعَزِفُ الفانتومُ بالألحانْ
...
تذكَّروا يا إخوتي الأطفالْ
في الشرقِ في الجنوبِ في الشمالْ

في الغربِ، في السهولِ في الجبالْ
أنّ لكم أَخاً
طفلاً من القُدْسِ أو الكرمِلِ أو غزةَ أو سيناءْ
مشرَّداً يعيشُ في العراء
لأنه يريدُ أن يعودْ
لموطن الآباءِ والجدودْ
لأرضِهِ السليبة
ودارِه الحبيبة
...
تذكَّروا يا إخوتي الأطفال
في الشرقِ في الجنوبِ في الشمالْ
في الغربِ، في السهولِ في الجبالْ
بأنّنا لا نعرفُ الأعيادَ والغِناءْ
لأننا نعيشُ في العراءْ
نُعَبّدُ الطريقَ بالدماءْ
طريقَنا لأرضِنا السليبة
ودارِنا الحبيبة

أغنية الشتاء

مرحبـــــاً بالـــــشتا مرحبـــــاً بـــــالمطرْ!
يـــا هَـــلا بالـــشتا يـــا هَـــلا بـــالمطرْ!

...

في الرُّبـــا والمـــروجْ راقِـــصاتُ الثلـــوجْ
فالـــسواقي ربـــاب والغـــصونُ الـــوتَرْ

...

مرحبـــــاً بالـــــشتا مرحبـــــاً بـــــالمطرْ!
يـــا هَـــلا بالـــشتا يـــا هَـــلا بـــالمطرْ!

...

وإلى المعهـــــــــدِ بـــاكراً نغتـــدي ...
والمـــــسا نلتقـــــي حيـــثُ يحلـــو الـــسَّهَرْ!

...

مرحبـــــاً بالـــــشتا مرحبـــــاً بـــــالمطرْ!
يـــا هَـــلا بالـــشتا يـــا هَـــلا بـــالمطرْ!

قصائد بالإنكليزية

للشاعر قصائد بالإنكليزية، وهذه إحداها، وفي الملحق قصيدة أخرى بخط يده.

Melody of the falling petals

Snow is falling،

Snow is falling…

The heavenly blossoms

Are softly casting off their petals،

The earth in her nuptial dress

Waits for the gallant knight..

❖ ❖ ❖ ❖

Snow is falling،

Snow is falling..

Sad could be the winter

To the blind and deaf،

But you

So alive to the spirit of life

Can see the smiling buds

Under the winter's gown؛

Can hear the singing streams

Beyond the raining chill

❖ ❖ ❖ ❖

Snow is falling,

Snow is falling...

And spring's on its heels

الأعمال القصصية

1 ـ ذكريات الطفولة

سكتي ابنك يا حرمة!

دَفعتِ الباب ببُطءٍ ودَخَلَت، وهي تُتَمتم بشبهِ تحيةٍ، ثم جَلَسَت على طَرَفِ المقعد الطويل، وقبل أن تستقر في جلستها هَتَفت بصوتٍ مختنق أجشَّ:

ـ وأنت يا أستاذ ماذا تقول عنّي؟

لم يكن السؤال غريباً عليّ، فقد سَمِعتُ الأهالي يتناقلونه عن امرأةٍ عجوز ظهرت فجأةً في البلدة، وراحت تطُوفُ البيوتَ والشوارع طارحة سؤالها التقليدي، وقد لا تنتظر جواباً:

ـ وأنت يا شيخ (أو يا أفندي) ماذا تقول عني؟

كان جواب الشيوخ، إن أجابوا:

ـ اللّه غفور رحيم يا امرأة.

ولكنَّ هذه العبارة لم تكن تزيدها إلاّ قَلقاً وتَخوُّفاً كلما تقدمت بها السن، وتَلَمّست عتبات يوم الحساب، وزادها قلقاً وذعراً أن الشيوخ رفضوا قبولها في حلقات الذِكْر التي يقيمونها كل يوم، وإن ظلوا يواسونها بكلمات

هي مزيج من الشفقة المتعالية والمجاملة الجوفاء، أما «الأفندية» فقد ظل أكثرهم يتهرب من لقائها، أو يتجاهلها.

كانت ثيابها السوداءُ القديمة الضافية نظيفةً، وإن بدت مُهرّأة الحواشي، ومن صدرها حتى الأرض انسدلَ إزارٌ من شعر الماعز، والتفَّ رأسُها بمنديلٍ أبيض سميك غطى كتفيها وصدرَها حتى الخصر.

لم تَلْتَثِم كعادة النساء الجبليَّات، فبرزت من جانبي خديها خُصلاتٌ بيضاء رماديةٌ، وبدا وجهها شاحباً جامداً تحسبه شريحةً من خشب التوت، لولا بريق ضئيل من عينين غائرتين مقرّحتين، ولولا ارتعاشُ شفة كامدةٍ جافَةٍ.

أحْسست أن الزمن يتراجع بي في لحظةٍ خاطفةٍ عشرات السنين، وبدا شريطُ الذكريات القديمة يمر بسرعةٍ جنونية أمام عينيَّ مجسَّما حينا، باهتا غائما حيناً، وخليطاً من الوقائع والأخْيلة في كثيرٍ من الأحيان.

حدث ذلك في أواخر الثورة في ربيع 1926 على وجه التقريب. الجيش الفرنسي احتل «السويداء» وما جاورها من القرى، وبدأ يطارد المجموعات الثورية المنتشرة في سفوح الجبال التي ظلت مُعممة بضعة أشهر بالثلوج، والتي بدأت تكتسي بباقات متناثرةٍ من الزهور البريّة أكاليل طبيعية على الرُّجوم الجاثمة فوق رُفات شهيد أو شهيدة.

كانت خطة الثوار الرئيسة أن يتوغَّل العدوُّ في القرى الخالية تماماً من السكان، ثم يُفاجأ بهجماتٍ صاعقةٍ مباغتة تذهله، وتضعضعُه، وتدميه.

لذلك ظلوا يحرصون أشد الحرص على أن يبقى النسوة والأطفال بعيدين عن القوات الزاحفة، وإنْ لم يستطيعوا أن يمنعوا عنهم قذائف المدفعية الجبلية، وقنابل الطائرات الغاشمة المغيرة كلَّ يوم.

والآن عادت ترتسِمُ في ذِهني، وبشيء من الرُّعب تلك الليلة الرهيبة..

نساءٌ وأطفالٌ في مغارةٍ جبلية في السفح الشرقي يحرسُهم بضعة مسلحين، وفجأة ومع الغَسَق ترتفعُ من فم الوادي قرقعة سلاح وصهيل خيول وطَبْطبة أقدام ثقيلة الوطءِ، وعلى مسافة من الكهف، وفي مرج واسع منبسط، يبدأ الجيش الزاحفُ ينصبُ خيامه على أضواء المشاعل المتراقصة في جلبة واضحةٍ، وحركات متسارعةٍ، تتخللها أوامر بالفرنسية، وبعضُ العبارات العربية أو الشبيهة بها، وحمحمةُ الخيول، وضربات المطارق تدقُّ الأوتادَ في أرض لم تتصلّب بعدُ.

اجتاحتِ المغارة موجة من الذعر تزيدها الظلمةُ رَهْبة وفزعاً، وسُمِعَ صوت نساء يَجهشن بالبكاء، وكأنما أحسَّ الأطفال بالخطر الداهم فخَرْمدَ بعضهم في أحضان الأمهات، وسمعت مصمصة أثداءٍ شبيهة بالتصاق الحملان بأمهاتها العائدات عطاشاً من مرعى جديبٍ، وظل بعضهم يعولون بحدَّة.

ـ سكّتوا أولادكم يا حريم.

ارتفع صوتٌ خافت من أحد المسلحين الذين اتخذوا متاريسهم على أبواب المغارة منبطحين على صدورهم، أصابعهم على الزناد وعيونهم تراقب بقلقٍ تحركات التخييم.

كم تمنى أولئك المسلحون القلائل أن يُباغتوا عدوهم في تلك اللحظة، ولكنَّ المغامرة كانت مستحيلة. قذيفة واحدة كانت كافية لتهديم المغارة على من فيها، ومن ثم فقد كان خوفُهُم على أعراضهم يستبد بكل مشاعرهم، ويذلّهم.

ـ سكتوا أولادكم يا حريم.

ضاعفت الأمهات التربيت على أكتاف أو جَنَبات صغارهن، وسُمعت بعضُ أصوات التهديد الخافتة، وغمغمت بعضهن بترنيمة قلقة مثل رنين صفيحةٍ نحاسيةٍ تنقرُها أصابعُ ناعمة مرتجفة.

ولكن طفلاً واحداً ظل يعولُ، بل يزداد عويلاً، وظلّت الأم الشابة تلاطفه حينا، وتشد على فمه حينا، تحمله على صدرها تارة، وترقصه بعصبية ظاهرةٍ تارة أخرى، تهمس في أذنه بضع كلمات، وتُتَمْتمُ بعضَ التعاويذِ، ولكن بلا جَدوى.

ظل صوتُه يرِنُّ في أجواء المغارة فَتُرَدِد أصداءَه، وتضخِّمُها وتضاعفُها، فتنعكسُ في المسامع المُرهَفَةِ القَلِقَةِ مِثْلَ جوقةٍ من الطبول والأبواقِ. «لماذا لا يريد أن يَسكُتَ؟ ولماذا يُصِرّ على أن يظل يرفِسُ رأسي وكتفي بقدمهِ العاريةِ أو يَدَيهِ المرتجفَتَيْنْ»؟

ـ سكّتي ابنك يا حرمة.

وتردَّدّ النداءُ خافِتاً من فَم إلى فم:

ـ سكِّتي ابنك يا حرمة.

ولكن الطفل لم يكن ليسكت إلا ليُطلِقَ صَرَخاتٍ جديدة أكثرَ حِدَّة ـ لعلّه كان ملسوعا ـ مَنْ يدري ـ ثم رأيتُها، رأيتُها بعينيَّ الاثنتين ترفع طرف اللحافِ تَسُدُّ به فَم الطفل، ثم تتكئ على اللحاف بمرفقها، وفمها يردّد شبه أدعية وصلوات.

وبدأ صوت الطفل يهدأ ويهدأ، ثم يتلاشى ويختفي، وبَدَأت ضرباتُ القدَمِ الصغيرةِ العاريةِ تهدأ، ثم تَهْمُد تماماً. فيسودُ الظلمة صمتٌ رهيبٌ تكاد لا تُسْمَعُ في ثناياه إلاّ خفقَاتُ قلوبٍ واجفةٍ مذعورةٍ.

عندئذٍ رفَّ في جنَبَات المغارة شبهُ نَفثةٍ مـن دخـان، أو حفيـفِ منـديلٍ حريريٍ يتراقص لحظةً ثم يفرُ مُنطلِقا نحـو الفـضاءِ المُلتَحِـفِ بعبـاءةِ الليـلِ الداكنةِ.

هَمهَمَت بعضُهنَّ: وطواطٌ مذعور.

وغَمْغَمت بعضُهن: روحٌ تفارقُ جَسَدَها.

العودة من المعركة

أمس وقف مع أمه وأخواته ومجموعة من الأطفال يودعون الذاهبين إلى المعركة.

بدأ يعرف رغم سنه الصغيرة أن المعارك تجري دائماً بعيداً عن مخيمات النساء والأطفال، أو بعيداً عن القرى التي تأويهم حتى تتاح للعيال فرصة الابتعاد عن جيش العدو إذا استطاع أن يخترق البيارق المستميتة في الدفاع عن الأرض والعرض.

رآهم: الأب وأولاده الشبان الثلاثة يتنكبون بنادقهم، ويتمنطقون بخناجرهم، وهم يرتدون أفخر ثيابهم كأنهم قادمون على عرس. الأب يركب فرسه الحديدية، ويطرح بندقيته أمامه، وسيفه يتراقص على خطوات الفرس، وأولاده الثلاثة يواكبونه مشاة.

فرسهم ما كان أجملها! حديدية بلون الحديد لون البدوية السمراء، اشتراها الأب منذ أيام قليلة من تاجر خيل من الشمال. عدّ الليرات الذهبية في كف التاجر واحدة واحدة. لم يعرف الطفل الجالس في حضن والده كم كان عددها، لأنه لم يكن يعرف عدداً أكثر من عشرة، ولكنه يذكر أن واحدة من الليرات الذهبية انزلقت من الكف الممدودة، ثم تدحرجت وغابت في رماد الموقد.

وهو يذكر جيداً أن الوالد حاول أن يمد يده لإخراجها من الرماد، ولكن تاجر الخيل هتف بلهجته البدوية:

ـ لا والله يا عم! لا آخذها! هذه من نصيب العيال!

واليـوم يـسمع الطفـل، منـذ الفجـر، دوي القنابـل مثـل دوي الرعـود الربيعية ومن بعيد يشاهد الطائرات تقـذف، فتزلـزل الأرض، وتغلـف الجـو بالدخان والغبار...

ومع الغروب رأى الطفل أشباحاً تقترب باتجاه المخيم، بعضهم فرسان تثاقلت خيولهم، ومشاة تباطأت خطواتهم....

ركض مع الراكضين لاستقبالهم...

هذه فرسهم الحديدية، عرفها رغم ما علاها من الغبـار ورذاذ الـدم. أما الفارس فقد كان معصباً ملثّما تلطخت كوفيته وصـدره بالـدم، واختفـت عباءته التي بدت ممزقة مثقبة تحت طبقة من الغبار والبقع الداكنة.

هتف الطفل:

ـ أب.....

ولكن الصوت اختنق في حنجرته....

ـ أردفوه خلفي!.... هتف الفارس الجريح

ـ من جرحك؟!

ـ المدفع!

ـ اكسره بالحجر!

قالها الطفل بكل بساطة وعفوية وحماسة!...

ثم هتف بقلق، وهو يلتفت حوله:

ـ أخي الكبير أين !؟

لم يسمع جواباً ولكنه سمع شـهقة عاليـة، ثـم نحيبـاً متقطعـاً، وأحـس بصدر الأب يرتفع وينخفض، وبدقات قلبه عنيفة متلاحقة، بينما كان أخـواه يمسحان بطرف كمهما فيضاً من الدموع.

والآن عندما يذكر تلك الساعات المريرة يخيل إليه أنه يشاهد فلماً من أفلام الهنود الحمر، وعندما ترتسم في ذهنـه صـورة ذلـك الطفـل الهنـدي الأحمر، وهو يلوح بالحجر في وجه المـدافع تتـأجج في صـدره عاطفـة مـن الزهو مشوبة بشيء من المرارة والإشفاق!.

هدية أم

يا ست **أم نايف** أنا نـازل اليـوم للـبلاد [1]، إذا أحببـت أن ترسـلي أي شيء للولد، بيتنا بجانب المدرسة، الباب بالباب.

كانت زيارة الشيخ باز مفاجأة لأم نايف، وكـان تلطُّفُـهُ بحمـل الهـدايا إلى الولد في المدرسة مربكـاً لهـا محرجـاً، إلا أنهـا تجلـدت، كعادتهـا أمـام المصائب... مدّت يدها إلى عبّها، ثم أخرجت، بعد برهة مـن التفتـيش شـيئاً، وضعته في يد الشيخ، وهي تقول: «سلم عليه..».

ولكنها، على خلاف عادتها في التأدّب، نسيت أن تقـول شـكراً لحامـل الهدية. وفي عاليه، استدعى باز «البـدوي الـصغير»، ووضـع في كفـه شـيئا صغيراً يلمع، ثم ربت على كتفه، وهو يقول: «أمك تسلم عليك...»

ضممت يدي على الهدية، وانطلقت إلى مهجعي دون أن أودع الـشيخ، وأعتقد أنني نسيت أيضا أن أقول له شكراً...

دفنت رأسي في السرير، شبه محموم، وراحت الدموع تنساب بسكون غزيرة، محرقة... كانت أم نايف تود، ولا شك، أن ترسل إلى ولدها شيئا من القضامة والزبيب، علبة راحة ممسكة، كنـزة صوف...

ولكن...

الدار مصادرة، صادرتها السلطة المحتلـة، قـررت نـسفها، كـما نـسفت مثيلاتها من الدور، إلا أنها عادت فاكتفت بتهديم قـسم منهـا وتحويلـه إلى

ساحة، عندما رأت أن تستفيد من الغرف الواسعة، لتجعل منها مدرسة تنشر فيها، وعن طريقها لغتها وأهدافها...

صادرتها بلا أي تعويض أو أجرة..

الأملاك، وإن كانت قليلة، ضئيلة المردود، مصادرة أيضا، لا يسمح لنا حتى بالتقاط السنابل الساقطة في أرجائها..

المستودع السري، تحت المضافة -الموزع- الذي خبأنا فيه أثمن أشيائنا، السجاد والبسط والفرش، وصناديق الثياب والمؤونة وكل ما لم نستطع أن نحمله معنا قبل أن نهجر السويداء المهددة بالاحتلال، إلى القرى الجبلية، ومن ثم إلى واحة الأزرق، فالصحراء... هذا الموزع، وقد كنا نعلق عليه آمالا كبارا، وجدناه منهوباً..

قال بعضهم: السلطة نهبت..

وهمس آخرون: لا تصدقوا..

لا مورد، لا عمل... لاجئون في غرفة من دار خالي أبي سليمان في حي القبو... الجمل الذي حملهم من الصحراء، باعوه، اشتروا بثمنه الكسوة الضرورية للبنات، ومؤونة بضعة أشهر...

ليس هناك أي شيء يباع أو يرهن..

كم كانت أم نايف تود أن ترسل شيئا ما إلى ولدها مع الشيخ باز، إلا أن قلبها كان مليئاً مفعماً، والغرفة اللاجئة إليها فارغة تصفر...

كم تمنت لو استطاعت أن ترغم تلك النفس الكبيرة على أن تستدين، ولو علبة راحة من أجل ولدها...

ولكنها لن تستدين... لن تستدين شيئا لا تقدر على إيفائه...

هكذا كانت أفكاري تحوم حولهم في السويداء، عندما دق جرس العشاء، فدسست الهدية تحت المخدة، ونزلت إلى مطعم المدرسة...

كان الطعام شهياً تلك الليلة، وكان سخياً أيضاً... ملأ لي واحد من رفاقي صحناً عارماً، وأنا في شبه ذهول... مددت يدي إلى الرغيف، أخذت منه قطعة، ظلت بين أناملي برهة... أخذت الملعقة، دسستها في فمي... لم أستطع أن أمضغ.. أنت مريض؟

.. مريض نعم..

كنت أتصور الأم وأطفالها، في السويداء، بلا مورد ولا عمل، لاجئين في غرفة صغيرة واحدة. ماذا يأكلون في هذه الساعة التي تتماوج فيها هنا أبخرة اللحم، والرز والخبز الطازج أمام عيني وفي أنفي؟..

تركت رفاقي يأكلون، ويتهامسون، وعدت إلى فراشي، أبكي بسكون، وأشد من جديد على قطعة صغيرة من فضة، على الفرنكين اللذين حملهما الشيخ باز من السويداء إلى عالية هدية من أم إلى ولدها...

أوَّاه.. ما كان أقسى هديتك، وما أمرَّها يا أمي!

محيط المحيط

قال الشيخ الفقيه، الشيخ الكبير:

ـ نحن بعد غد، سنزور مع أخوتنا المشايخ الأجاويد، سيدي هابيل في جبال وادي بردى، ومن هناك سوف يذهب بعضنا إلى الجبل... هل تحب أن آخذك معي إلى السويداء؟

قلت:

ـ أتمنى..

قال، وعلى فمه ابتسامة عريضة، تختفي تحت شاربيه ولحيته الغزيرة، وفي عينيه بريق، لم أر بريقا أصفى منه ولا أكثر وداعة:

ـ ولكن أخوتنا المشايخ لا يقبلون بأن يرافقهم أي شخص، صغير أو كبير، باللباس الفرنجي، ولا أي شخص بلا طاقية أو عمامة...

عدت إلى عمتي، أستنجد بشروالي القديم، وطاقيتي السابقة. قالت: الطاقية موجودة، لكن الشروال راح من زمان..

قلت:

ـ شروال جديد

فكرت قليلاً ثم قالت:

ـ من أجل ليلة واحدة، شروال ملس، ثم ترميه، لا..

أعيرك شروال خالك..

يا للفرحة! غدا أكون في طريقي إلى أهلي.. ولن أحسب لمشكلة الشروال ودكة الشروال أي حساب.. ليلة وتمضي..

وفي الغد الباكر، لبست بدلتي الفرنجية الجديدة، ذات الصفارة، ثم لبست الطاقية، كانت ضيقة إلى حد ما، ثم بدأت بمساعدة عمتي ألبس شروال الخال، أو هو يلبسني.. كان شروالاً جديداً واسعاً، متعدد الطيات يكنس «قرقُه» الأرض، دِكّته عدة أذرع، دارت حول خصري، أو بالأحرى حول أضلاعي العليا تسع دورات.

وهكذا غطاني الشروال، وفاض أذرعا عن يميني وعن شمالي ومن بين قدمي، حتى خُيل إلي أنني أغرق في بحر أسود، وأن رأسي يبدو فيه جزيرة صغيرة بيضاء..

وهكذا أطلقت على ذلك الشروال، بيني وبين نفسي اسم «محيط المحيط».. كيف أستطيع أن أمشي عدة كيلو مترات من بيت الخال إلى محطة القطار، وأنا أجرجر هذه الخيمة السوداء المقلوبة؟

شد حيلك.. الناس نيام وأنت شاب صغير نشيط. حملت جزءاً من الشروال على كتفي، أغطي به قسماً من وجهي تحاشيا لتعليقات أولاد الحارة، ثم أسرعت الخطا، قدر الإمكان، لا ألتفت يميناً وشمالاً، حتى وصلت المحطة لاهثاً منهوكاً، قلقاً، إلا أنني وصلت سالماً من أي سخرية أو تعليق..

كانت المحطة، ذلك الصباح، مثل حقل من أزهار الأقحوان الأبيض، تموج باللحى والعمائم البيضاء.

كان المشايخ على موعد، وها هم يتصافحون، ويتبادل بعضهم تقبيل الأيادي، مرات عديدة بينما توجه «مندوب» عنهم، إلى مكتب المحطة ليقطع سبعين تذكرة أو أكثر!..

رحت أفتش عن الشيخ الكبير!... كان المشايخ متشابهين، عمائم بيضاء فوق رؤوس حليقة بالموسى، لحى مسترسلة، عباءات قصيرة مخططة طولانيا حمراء وبيضاء، أو بيضاء وسوداء، شراويل من الملس سوداء، بعضها زرقاء واسعة، زنانير عريضة من الصوف الأبيض الناعم، وأخفاف محلية الصنع مفتوحة من الخلف مروّسة أحيانا من الأمام...

وها هو القطار قد أقبل من بيروت في رحلته نحو دمشق، بطيئاً، لاهثاً، صاخباً، ينفث ناراً ودخاناً ورماداً، وها هم الركاب البيروتيون قد أخذوا ينزلون منه، ومن ثم بدأ الشيوخ يصعدون، بشيء من العجلة، إلى عربات القطار!..

رفعت قسما من محيط المحيط فوق كتفي، ورحت أركض، أو أحاول أن أركض من عربة إلى عربة، أفتش عن الشيخ الكبير...

وفجأة، أحسست بأن دكة الشروال تفرقع، وأنها تكاد تنقطع... شددت عليها بيدي اليسرى، ورحت أشد على بقية الشروال باليمنى...

ولاحظ الأولاد البيروتيون الخبثاء ارتباكي، فانطلقوا يصفقون ويهتفون: أشَّط شروالك يا شيخ...أشَّط شروالك يا شيخ!

كانت أمهاتهم يتضاحكن حولهم، ويتغامزن سافرات، أو من خلف منديل، أو كف تغطي الفم والذقن، أما الآباء فإنهم لم يفعلوا أي شيء ضد وقاحة أولادهم، وكأنهم يشاركونهم تلك السفاهة...

آه ! كم حدثتني نفسي بأن أرشقهم جميعا بسيل من الحجارة، بالجمش، كما نقول في بلادنا، وأرض المحطة مليئة بأكوام الحصى...ولكن عجلات القطار بدأت تتحرك، ولا بد من الوصول إلى عربة الشيخ الكبير!...

الأيام بيننا يا أولاد الحرام!

ثم تمتمت، يا لـه مـن تهديـد فـارغ... «راحـت بجلـدك» أيهـا الـشيخ الصغير، وبعد أن رحت ألهث، وأحاول أن أمسح عرقي المتصبب مـن الجهـد والارتباك والغيظ، وأخيرا... لمحت يداً تلوح من إحدى عربات القطار الـذي بدأ يتحـرك، فانـدفعت نحوهـا، وتعلقـت بحافـة النافـذة، فامتـدت الأيـدي لسحبي إلى داخل العربة!..

كانت عملية السحب صعبة، ومحرجة وخطرة.. فقد امتلأ محيط المحـيط هواء وتحول إلى بالون يتماوج حول النافذة رافضا أن يدخل. في حـين كانـت أصوات الأولاد البيروتيين تردد: لحنا جديدا: طيَّر شروالك يا شيخ!..

وأذعن محيط المحـيط أخـيراً، مجـاملاً أو مـرغما، فتـسلل إلى داخـل العربة، وارتمى على مقعدها، بلا حراك..

كنت أتمنى أن أتخـذ مـن الـشبكة التـي تحمـل الحقائـب في العربـة، سريراً لي، بدلا من المقعد الخشبي المتقلقل، وقد سبق لي أن فعلـت هـذا في سفرة سابقة إلى الشام.. أما الآن فإن هذه الأمنية لن تتحقق، وأنا غارق في محيط المحيط، لا أستطيع رفعه إلى فوق، ولربما لا تتسع لـه شـبكة العربـة، ومن ثم فهذا هو المفتش يقبل متنقلا من عربة إلى عربة...

أخذ التذاكر واحدة واحدة، وبدأ يثقبها بشيء من العصبية، ولعله كان «منرفزاً» لسبب أو لآخر ثم التفت نحوي:

ـ بطاقتك يا شيخ!..

عبثاً حاول الشيخ الكبير إقناع المفتش بأن المحاسب قد قطع بطاقـات كل المشايخ، إلا أن المفتش ظـل معانـداً لا يـبرح العربـة حتـى يقطـع للـشيخ الصغير، بطاقة مضاعفة الثمن، غرامة لوجوده في القطار بلا بطاقة...

ولا أدري إذا كان الشيخ المحاسب قد نسي أن يقطع لي بطاقة، أو أنه لا علم له بوجودي، أو أنه قطع سبعين بطاقة أو أكثر لسبعين شيخاً أو أكثر، وأن هذا الشيخ الصغير يمكن أن يركب معهم القطار مجاناً، «ع البيعة»!..

❖ ❖ ❖

توقف القطار توقفاً، استثنائياً عند جسر محطة الكهرباء في وادي بردى، لينزّل المشايخ في أقرب نقطة إلى مقام سيدي هابيل، ثم بدأ يتحرك من جديد، فارغا تقَرقع عرباته، وتترنح ذات اليمين، وذات الشمال، وهو ينفث دخاناً وبخاراً وشرراً...

خلع المشايخ عباءاتهم، رموها على أكتافهم، وأخذوا يتسلقون ببطء ومشقة وحذر، سفح الجبل الصخري الشديد الانحدار، بعضهم يعتمد على عصي من السنديان والملّول، وبعضهم ينحني ليتمسك في تصعيده، بالصخور خشية التزحلق.

آه، كم كنت خائفا أن يُعيقني محيط المحيط عن اللحاق بالمسيرة المتباطئة؛ كان أكثرهم شيوخا مسنين يحاولون قبل أن يودعوا هذه الحياة الدنيا، أن يكسبوا بالتعب والمشقة رضا الأولياء...فما أكثر زياراتهم الدينية وما أشقها! وأولياؤهم معتصمون في أعالي الجبال، كأن مقامهم عش من أعشاش النسور...

كان محيط المحيط يرهقني، ويثقل خطواتي، ويهددني، من وقت إلى آخر بالتدحرج، عندما يعلق طرف منه بصخرة هنا أو شجيرة شائكة هناك، ومع ذلك فلم أكن «الأخير زمانه» ولا القائل: إذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا.

ومع الغروب كان أوائل الركب قد بدؤوا بتقبيل جوانب المقام، ومن ثم بدؤوا يستريحون على الأرض العراء، وهم يمسحون العرق المتصبب من رؤوسهم الحليقة ومن أعناقهم...

كان مقام سيدي هابيل آنذاك، على ما أذكر أربعة جدران عالية، بلا سقف، ولا بوابة، تحيط بباحة مستطيلة في وسطها ضريح الولي، تغطيه بعض الأقمشة الملونة، نثرت الرياح شرائط منها في جوانب المقام الواسع، تتكدس حوله شموع أو بقايا شموع، غطت حجارة المقام الكلسية بطبقة من الدهن المحترق والدخان القاتم... وإلى جانب المقام ثلاث سنديانات قيل إنها شربت من دماء النبي هابيل، أول حفنة من دماء فوق هذه الأرض التي سيغمرها مع الزمن، طوفان متلاحق من الدماء.

ما أجمل الغروب في تلك البقعة الساكنة، الهادئة، وما ألطف ألوانه!.. حافة السماء وردية أرجوانية، وسفوح الجبال الجرداء ذهبية، وجوانب الوادي ظلال رمادية شفافة، تنسحب فوق خضرة داكنة متماوجة، تلمع من خلالها أحيانا، صفحة فضية مترقرقة من النهر الخالد، ينساب متعرجا، متراقصا، لا نسمع منه إلا ترنيمة خافتة، ووشوشة ناعمة تقترب من حدود السكون!

وما أجمل المساء في تلك البقعة الساكنة الهادئة وما أنقى صفاءه!.. لا شيء إلا حفيف النسيم البارد المنعش حينا والقارس أحيانا، ولا ضوء، إلا أضواء النجوم تلمع لمعانا خافتا، وكأنما هي تتناجى في خيمتها الأبدية الشفافة الزرقاء!

لماذا يتسلق هؤلاء الشيوخ الشعاب العالية، مخاطرين بحياتهم باذلين من الجهد فوق ما يستطيعون؟

إنهم يؤمنون بأن اللّٰه هو في كل مكان، وفي كل زمان، إلا أنـه يخيـل إليّ، أنهم يحسون بأنهم أقرب إليه، كلـما كـانوا أقـرب إلى الـسماء، في ذرا الجبال، يتلون صلواتهم وأدعيتهم ويرتلون أناشيدهم بانفعال وحماسة.

غفوت، فراشي محيط المحيط وغطائي عباءة الشيخ الكبير، ورحت أحلم بلقاء الأهل، وبشتى الأحـلام اللذيـذة المتداخلـة، تهدهـدني همهـمات الـشيوخ، يجهـرون بالـصلاة حينـا، ويهمـسون بهـا أحيانـا، مـرددين الأدعيـة وقوفـا أو مستندين إلى جدران المقام، لا يغمض لهم طرف، ولا تفتر لهم حماسة!...

وأطل الفجر جميلا، كأشـهى مـا يكـون الجـمال، يتـدرج نـوره تـدرجا سحرياً ناعماً بطيئاً رمادياً، ثم أشيب، ثم فضيا، خيوطا من فضةٍ وذهب، ثم غلائل من أرجوان... ويبـدأ الـزوار يـستعدون لتوديـع المقـام حامـدين اللّٰه، مبسملين، وهم يمررون أكفهم مراراً على لحاهم التي كانت النسائم النديـة العطرة تداعبها برقة..

اتكلنا على اللّٰه!..

وبدأت حركة العودة، بطيئة متثاقلة أيضا، فالجفون لم تغمض، وتعـب التصعيد بالأمس لم يتلاش، والمنحدر شاهق، «خطر المزلة هائل»..

وأسرعت إلى خلف سنديانة أخلع عني الطاقية، أدسـها في عبـي، ثـم أخلع عني محيط المحيط، وأكوره شبه خيمة الكشاف، مـستعيناً بالدكـة حـبلا من مسد، ثم أشدّ على كتفي، كما يفعل الكشافون فأبدو من جديد «كركيا»، يحمل حقيبة سوداء هائلة.

وبدأت أسابق الركب في المنحدر، خفيفاً نشيطاً.

أكثر الشيوخ الـذين تجـاوزتهم لم يعرفـوني. لعلهـم ظنـوا أني طليعـة لبعض الكشافين الـذين كـانوا يمـرون بـالقرى الجبليـة، مطبلـين مزمـرين

منشدين أو مخيمين بين أشجار الحور والزيتون، يرقصون ويهزجون حول نيران المخيم، في الليالي الدافئة!..

وعرفني بعضهم، ونظروا إلي نظرة شزراء عنيفة..

ارتجفوا لرؤيتي كأن سلكا من الكهرباء قد مسهم، قدحت عيونهم شرراً، يا ضياع التعب!.. لن يقبل الولي زيارتهم!.

لن يقبل الله تضرعاتهم وصلواتهم عندما يرافقهم هذا البنطال الفرنجي!.. وأخذت أتباطأ فقد سمعت من بعيد، مناقشة حادة خلفي... وتظاهرت بأنني أستريح فوق صخرة، وقد همني أن أسمع الحوار:

ـ هذا لا يجوز يا شيخ، أفسدت زيارتنا!.. اللّه يسامحك!..

وابتسم الشيخ الكبير، ابتسامته الوديعة، ثم قال، وهو يتوكأ على عصاه الغليظة القصيرة:

ـ يا شيخي! الزيارة انتهت! ونحن ودعنا المقام، ثم أن هذا طفل، احتمل الشروال من البيت إلى المحطة، وتسلق به الجبل العالي، محافظة على آداب الدين،.. الرجاء التسامح!..

وأحسست بأن الشيخ الناقد لا يرغب في التسامح، فقد ظل مقطب الجبين، يحدجني بنظرة حاقدة وهو يمر بي بينما كان الشيخ الكبير يبتسم، ويداعب شعري بيده الناعمة.

لقد كان متسامحاً، رحب الصدر، سريعاً إلى الخير، ساعيا إليه، إلا أنه يظل في الحق عنيدا لا يحيد، ولا يقبل المساومة.

❖ ❖ ❖

كان الوادي قد بدأ يستيقظ، صياح الديوك، نداءات القرويين، حركة الذهاب والإياب...

وما إن بدأت طلائع موكب المشايخ، تقبل على القرية حتى تراكض الفلاحون، يحملون صناديق المشمش والسلال، هاتفين:

البركة يا حضرات المشايخ... البركة!..

كان الشيخ يأخذ الحبة، يحملها بيده ويتمتم: كثر اللّه خيركم، عوض اللّه عليكم، اللّه يوفقكم!..

ما أعمق إيمان هؤلاء القرويين بالمشايخ وما أشد ثقتهم بهم!..

وفي المحطة كان القطار واقفا بعرباته الفارغة، منتظراً قدوم المشايخ الذين كانوا قد تواجدوا في المحطة قبل موعد القطار بدقائق قلائل...

وانطلق القطار من جديد ينفث ناراً ودخاناً وبخاراً وصفيراً حاداً طويلاً، متقطعاً...

ورفعت خيمتي المكورة، ووضعتها في شبكة العربة، وقفزت خفيفا رشيقا إلى فوق، غطائي عباءة الشيخ الكبير، ومخدتي محيط المحيط.

❖ ❖ ❖

2. رواية أبو صابر

كتب الدكتور **جورج جبور** في الموقف الأدبي نيسان 1972.

تستحق سيرة أبو صابر «مكاناً مفتاحاً » في دراسة تاريخنا المعاصر.... ولا أظنني مبالغا إن قلت إنّ من حق الشعوب المناضلة علينا أن نعرّفها بهذه الوثيقة على أوسع نطاق«.

رواية صدرت عن وزارة الثقافة عام 1971بعد أن نالت جائزة، ثم أُعيدت طباعتها عام 2015،

وقد جاء في مقدمة الكتاب التي كتبها الأديب:

«أبو صابر.. بطل من بقايا السيوف، لا يزال حياً.. قصة حياته أسطورة إباء وإيمان..

كان يتكلم، وكنت أسجّل حديثه يوما بعد يوم.. تكاد تكون كلمات هذه القصة كلماته بنصّها والصور صوره بألوانها وأبعادها.

لو كنت قصاصاً لأبدعت له نهاية غير تلك النهاية، ولكنني كتبت هنا ما سمعت، وما رأيت..

سيختلف الأدباء والأصدقاء في تقييم هذا العمل الأدبي، فنّاً ولغة وتأثيراً، ولكنهم يتفقون جميعا على أنها قصة رواها ثائر صادق، وكتبها قلم آثر أن يظل صادقا.»

3. النساجة وراعي البقر

أسطورة صينية عن نجمة «النساجة» التي رغبت بالتعرف إلى كوكب الأرض..

سمع الأديب بالأسطورة، أو قرأها فتحول إلى نسّاج يحيك خيوطها بفن وجمال وعمق، مازجاً الأسطورة بالواقع، والصيني المحلّي بالعالمي.. ومحمّلاً هذه الرواية الصغيرة أفكاراً كبيرة..

تتكلم الرواية عن الحب، حب النساجة السماوية لراعي البقر ابن الأرض، عن الفقر والظلم والتسلط والنفاق من جهة، وعن الصداقة والتضحية والنبل من جهة ثانية...

تتداخل خيوط الأسطورة مع خيال وأفكار الأديب لتخلق عملاً أدبياً جميلاً..

تمت طباعتها عام 2016 في سورية.

4. قصص للأطفال

في أرشيف مجلة أسامة السورية عدد كبير من القصص التي كتبها الأديب للأطفال، أو ترجمها وقد تمّ إدراج صورة لإحدى هذه القصص، في أرشيف الصور.

التأليف المعجمي

1. المعجم الصيني ـ العربي الكبير

كتبت **ضحى عبيد**[9]:

في الذكرى الخامسة والعشرين لرحيل الأديب سلامه عبيد لا بدّ من إلقاء الضوء على أهم عمل من أعماله المترجمة وهو القاموس الصيني - العربي.

وقد امتدّ العمل به من عام 72 إلى 82 وهو عمل مكتبي طويل قدم له ضوء عينيه، وأصابه بجلطة في ساقه اليسرى، ميّعت مرتين، والثالثة تمكنت منه عام 1984. وعن عمله فيه كتب رسالة عام 76 يَقول فيها: (أعمل يومياً فترتين قبل الظهر وبعد الظهر في القاموس الصيني العربي، وهذا عمل طويل يحتاج إلى كثير من الدقة والعناية والمقارنة).

يتألف القاموس من أكثر من ألفين ومئتي صفحة 2200 من الحجم الكبير، وقد طبع بعد رحيله بسبع سنوات فالمقدمة كتبها الأساتذة الصينيون.

لقد وضعه مُترجَماً عن القاموس الصيني -الانكليزي، وعن الباب الأول A ذكر أن العمل فيه قد استغرق منه عامين للتأكد من مفرداته الزراعية أو الطبية أو الفيزيائية الخ.. و كان دور زملائه الصينيين هو أن يتأكدوا معه من مطابقة العربية إلى ما يقابلها في اللغة الصينية، وأهم ما

قدمه في المعجم ليس الشرح اللغوي المحدد فقط وإنما بما أغناه من ثقافته بالأمثال والمعارف.

يتحدث «**تشانغ جيان مين**[10]» أستاذ اللغة العربية بجامعة بكين فيقول:

«إن القاموس الصيني - العربي هو الأول من نوعه في بلادنا...وقد صرف الأستاذ عبيد معظم جهوده بمساعدة من الأساتذة الصينيين على إنجاز هذا القاموس في عشر سنوات امتدت من عام 1972 إلى عام 1982».

وعن أهمية القاموس تحدث المستشار الثقافي لجمهورية الصين الشعبية[11] في الندوة التكريمية التي أقيمت للكاتب عام 2007 فقال: «بعد ثلاثة وعشرين عاماً لن ننسى هذا الصديق العظيم، وقسم اللغة العربية في جامعة بكين سيظل ممتناً له، إن المعجم هو الأول من نوعه في بلادنا، وقد أسهم في تعجيل التبادل الثقافي بين الصين والبلاد العربية.

ولئن كانت المصادفة قد قادت الأديب إلى الصين، ولعبت دورها في حياته، فإن عمله الجاد القائم قد حول تلك المصادفة إلى بناء وأثر راسخ باق».

2. قاموس المترادفات العربية

(وصلتنا منه نسخة مكتوبة على الآلة الكاتبة)

تأليف: الأستاذ سلامة عبيد، قسم اللغة العربية، كلية اللغات الشرقية - جامعة بكين أبريل 1975

يبدأ الكتاب بالفهرس حسب الترتيب الأبجدي، ثم يستعرض المترادفات العربية، وهو يتألف من 328 صفحة من الحجم الكبير...

كما في قواميس المترادفات المعتمدة، يضع الكاتب الكلمة ومترادفاتها موضحاً الفرق في المعنى بين كل كلمة وأخرى، ثم يدرج أمثلة وشروحات أكثر تفصيلاً.

❖ اللحاق ب - الالتحاق ب

اللحاق ب:

❖ هو يحاول اللحاق بالباص

❖ هذا المصنع يحاول اللحاق بالمصنع المتقدم.

الالتحاق ب:

❖ هو يريد الالتحاق بالمصنع.... الالتحاق بالجيش...الالتحاق بالجامعة.

❖ استجمام – نقاهة

الاستجمام: راحة بعد تعب

النقاهة: راحة بعد مرض

❖ أخفق- فشل - دحر- خسر- خسران

أخفق الهجوم، وفشل الهجوم

أخفق الطالب في الامتحان، وفشل في الامتحان

دحَرَ ـ هزم: فرَّ الأعداء مدحورين

خسر: خسر مالاً، تجارة خاسرة ، صفقة خاسرة.

خسران: كلمة خسران غالباً ذات مدلول معنوي.

3. القاموس المبوّب

قاموس صيني ـ عربي للمواضيع، يحتوي على أكثر من عشرين فصلا.

فصل للكلمات الزراعية، فصل للكلمات الصناعية، فصل للرياضة وغير ذلك.

لم تصلنا نسخة من هذا القاموس، ولكن الأديب ذكر تأليفه لهذا القاموس في رسائله، وقد وضعت صورة لمقتطف من إحداها في الملحق.

4. قاموس للأمثال الصينية- العربية

وضع الأديب هذا القاموس حول الأمثال الصينية، وما يقابلها بالعربية، ولم تصلنا نسخة من هذا القاموس ولكنه ذكره في رسائله .

كتاباته التاريخية

1. الثورة السورية الكبرى
على ضوء وثائق لم تنشر

يقع الكتاب في (512) صفحة من الحجم الكبير، أودع في مكتبة الجامعة الأميركية باعتباره رسالة ماجستير عام 1951 ثم طُبِعَ في بيروت عام 1971.

وهو أول كتاب تاريخي وثائقي عن الثورة.

من الأرشيف برقية من المرحوم **أمين أبو عز الدين**، العبادية، لبنان، 1971/9/13

«أحسنت إذ حققت وأبدعت. وصدقاً ما كتبت عن الثورة وأسمعت. لا الشكر يغني ولا التقدير يوفي. جزاك الله خيراً على ما صنعت.»

❖ بدأ سلامة عبيد بكتابته عندما كان يعد شهادة الماجستير بإشراف الدكتور نقولا زيادة.

❖ أمضى ما يقارب ربع قرن في جمع وثائقه بكل دأب، وبطرق علمية موضوعية رصينة.

❖ اعتبر النقاد هذا الكتاب أهم كتاب صدر عن الثورة السورية الكبرى، وقد استعان به مئات المؤلفين والصحافيين وأدرجوه في قوائم مراجعهم.

عوامل كثيرة ساعدت على أن يكون هذا الكتاب شديد التميز، وهي:

❖ إن سلامة عبيد عايش الثورة، وأمضى سنوات طويلة مع والده علي عبيد ورفاقه من الثوار في صحراء نجد.

❖ إن دراسته في الجامعة الأميركية زودته بالأساليب والمهارات اللازمة لإنجاح هذا العمل.

❖ إن سلامة عبيد كان شاعراً ومسرحياً وروائياً، وهذا ما جعل أسلوبه شائقاً يستقطب اهتمام القارئ.

❖ إن شخصية سلامة عبيد الصادقة الواضحة والبعيدة عن التزييف والمجاملات جعلت منه خير من يؤرخ للثورة.

❖ إن ثقة أبناء الجبل بسلامة عبيد جعلتهم يأتمنونه على وثائقهم، ويتعاونون معه إلى أبعد حد، وبذلك تجمع لديه وثائق نادرة غاية في الأهمية أدرجها في الكتاب.

❖ إن قدرة سلامة عبيد على العمل المضني الدؤوب، وإحساسه بالمسؤولية في كل عمل يقوم به....تاريخاً.. أو قاموساً...أو أدباً.. ميزت أعماله جميعا بمستوى رفيع.

طبع هذا الكتاب أول مرة برعاية المرحوم **عارف النكدي** ومؤسسته... وهو يقع في 512 صفحة.

جاء في كتاب الثورة السورية الكبرى:

شـهدت هـذه الثـورة ضروبـاً مـن الاسـتغلال والارتـشاء عجّلـت في إخمادها. فقد (تلاطم) أصحاب الزعامات على (المـال والخيـام)، وتراشـقوا بالتُهم.

واستأثر بأموال الإعانات أفـراد بيـنما (ألـوف مـن الفقـراء استـشهد معظـم رجـالهم يموتـون جوعـاً، ويرغمـون عـلى التـسليم قـسراً). كثر المدّعون والمتاجرون ما دعا أحد شعراء الثورة (علي عبيد) لأن يقول:

البعضْ ما خسروا عليها متاليـكْ ولا باتْ ليلهْ في الحرايب قلوقي

وعند انتها الشدّات أضحى هو البيكْ ويقولْ ثورتنا وضاعت حقوقي!..

وقد لازم الاستغلال الارتشاءُ المـادي والمعنـوي. فمـد بعـض الـزعماء، يدهم لقبض الرشوات من القيادة الفرنـسية وأسـاؤوا للثـورة، كـما جـاء في مذكرات علي عبيد: (أكثر من تنكيد نيران العدو).

2. ربابة الثورة

حرصاً من سلامة عبيد على توثيق القصائد الشروقية الوطنية الحماسية للثورة السورية الكبرى بجميع مراحلها في سجل صادق، فقد قام بجمع بعض القصائد لوالده علي عبيد وغيره من شعراء الوطن والمهجر منهم المجاهدون: **هلال عز الدين الحلبي، فارس النجم الأطرش، صياح الأطرش، زيد الأطرش، يوسف العيسمي، علي الملحم، قاسم أبو خير، محمد النبواني، جاد الله سلام، والمغترب: فارس بلان.**

صدر من الديوان الذي جاء باسم: «علي عبيد، ربابة الثورة» طبعتان، وقد كتب سلامة عبيد مقدمة الديوان وتضمّنت دراسة تاريخية ولغوية واجتماعية، جاء فيها:

«آمل أن يكون في هذه المجموعة حافز لشبابنا في سورية والوطن العربي إلى أن تظل نظرتهم إلى الآباء والأجداد نظرة اعتزاز وإجلال لما قاموا به من أعمال فروسية، ولما قاسوا من مرارة، ولما أقدموا عليه من تضحيات وصبر في سبيل الفجر الذي انبثق من شفار سيوفهم ومن دماء شهدائهم».

وفيما يلي بعض الأبيات التي وردت في الديوان:

هلال عز الدين الحلبي:

طفران من بعض الأجاويد يا حسين وسألت رب العرش يصرم عمارا

وأفعالهم ما هي فعايل هَلَ الـدين وبدل العبي لبسو الزغل والـصغارا

علي الملحم:

يا بـو نـايف نحـن لازمنـا صـبر عا ليـالي الـنحس تـالي هـالعمر

خانــت الأيــام وانكــب الــدهر وما عاد قسمتنا خلاف البهـدلي

قاسم أبو خير:

يـا الله يـا الـلي عالمـاً بالطويّـة يـا حـي يـا معبـود ليـك الـشكيّة

تعـود بـاللي معاضـدين القـضية تفتح لنا من بحر جودك لنا شـان

محمد النبواني:

حي الكتاب وحي ناشي القصيدي الشبل هللي يرعب الخيل طرياه

جتني تحيات الوفي مـن بعيـدي وحييه عدد ما خطت الحبر يمنـاه

جاد الله سلام:

يا رسل ياللي تمد من أرض طربـة فوق حرة كنّهـا ظبـي الحـمادي

سلّم على اللي ساكنين ديار غربـة النشاما مخضبة سيوف الهنـادي

أبو نـايف باللقـا قيـدوم صربـه يوم ثار العج في يـوم الطـرادي

علي عبيد:

البارحة والعين عيّت على النـوم من واهج في الصدر طير وسنها

حزين قلباً من غثا الدهر مكظوم وعيناً حزينة الدهر قرّح جفنها

يا عين هلّي واسكبي الدمع عالـدوم ومثل السحايب يوم يهطل مزنها

على جبلنا أصبح اليـوم محكـوم من الأجنبي والعُربْ تبكي حـصنها

فارس بلان (في رد على القصيدة السابقة) :

يا عبيد ويش يبكيك من اللي مـضى واليـوم

وإنـــت الـــذي رضـــعان صـــافي وشـــنها

نوحـك شـجي يـا عبيـد هـل هجـرت النـوم

والـــنفس فقـــدت في المـــصايب مجنهـــا

سلامة عبيد باحثا في التراث الشعبي

1. أمثال وتعابير شعبية
من السويداء ـ سورية

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن وزارة الثقافة في سورية، ثم أعدنا طباعته في عام 2016.

«كنت أصغي إليهم في السهرات عندما كان يطلب من والدتي أن تعدد له الأمثال الشعبية التي تعرفها، ويقرأ لها الأمثال التي سمعها في ذلك اليوم والتي كان يسجلها على بطاقات صغيرة يضعها يومياً في جيبه، ولا نزال نحتفظ بهذه البطاقات التي كتبها بخط يده.»

جاء في المقدمة: أن الأمثال هي حصيلة عشرين عاما أو أكثر، والمؤلف لم يكتفِ بالجمع والشرح فحسب، ولكنه استعرض في مقدمة الكتاب الكثير من المعلومات التاريخية، والتحليل اللغوي التفصيلي.

وممّا جاء في المقدمة أيضاً أن نزوح سكان جبل حوران من مناطق مختلفة من لبنان وسورية وفلسطين صبغ الأمثال بتنوع غني ومتفرع.

وقد وضع دراسة تاريخية هامة عن أسباب النزوح وظروف الإقامة في الموطن الجديد، كما وضع دراسة لغوية رائدة في مجالها تحلل اللهجة العامية في جبل العرب وتقارنها بالفصحى.

وقد جاءت الأمثال مرتبة أبجديا مع شرح للكلمات، وأحيانا مناسبة المثل... وهذا بعضها:

❖ راحت الخيل تِنْحذي مدَّت الخنفسة رجلها: يقال في الشخص الذي ينبري لأعمال ضخمة لا يستطيعها.

❖ سبع مغازل تغزل والصيت لراعية البيت: استغلال ربات البيوت للأيدي العاملة مادياً واجتماعياً.

❖ شلا لوب عالناس ...شلا لوب علينا؟: تقال للشخص المخادع.

❖ الضيف أول يوم قمر منور... ثاني يوم رغيف مقوّر.. ثالث يوم قرد مصوّر.

يقابله في المثل الصيني: الضيف مثل السمكة تفسد في اليوم الثالث.

2. الشعر النبطي
في الإمارات العربية المتحدة

عند زيارة الإمارات غالباً ما يمضي الزائر وقته مستمتعاً بزيارة مراكز التسوق والمطاعم والمتنزهات.. سلامة عبيد كان قادما من الصين التي كانت تعيش في ذلك الوقت حياة تقشف صارمة، ومع ذلك لم تغرِه كل هذه الرفاهية في الإمارات، بل كرّس إجازته لإنجاز عمل أدبي لغوي تاريخي كبير هو كتاب: «الشعر النبطي في الإمارات العربية».

اطّلع الأديب على الشعر النبطي فاستهواه، وخصوصا بعد أن قام بدراسة متأنية للباحث الدكتور **غسان الحسن** الذي يحمل أول دكتوراه في الشعر النبطي، وقام بدراسة عدد كبير من الدواوين والمراجع دراسة متعمقة. بعدها وضع نصب عينيه أن يعرّف القارئ العربي بهذا: «العطر

الصحراوي، والألوان الصحراوية النابعة من ماضيه العريق والمواكبة لتطوره الحضاري عبر العصور المتعاقبة».

بداية قدم الكتاب دراسة تاريخية ولغوية مقارنة مع الشعر الشعبي في بلاد الشام، وشرح سبب تسميته بالشعر النبطي، ثم عرّف بألوان هذا الشعر وأسلوبه وأهميته.

يروي الأستاذ **لطفي عزام** مدرّس اللغة العربية والصحفي الذي كان يعمل في الإمارات في ذلك الوقت أن الأديب لم يكن يملّ من العمل لساعات طويلة في دراسة موسيقا هذا الشعر، وكتابة دراسة عروضية بطريقة إيقاعية مبتكرة عن كل من ألوانها المختلفة: الهجيني، الحدوة، الصخري، السامري وغيرها.. وقد أذهلت هذه الطاقة والقدرة على العمل الدؤوب كل من تابع عمله في هذا الكتاب، وخاصة الأستاذ لطفي الذي شاركه إعجابه واستمتاعه بهذه الألوان من الشعر..

وقد اختار الأديب بعض القصائد من الشعر النبطي وأدرجها في الكتاب، وهي كما وصفها «باقة زهور أضعها بين يدي القارئ العربي.»

❖ ❖ ❖

وأتساءل بعد كل هذه السنوات... ألا يستحق القارئ العربي مثل هذه الباقة؟ ألا يستحق جهد سلامة عبيد أن يرى النور من خلال مؤسسات ثقافية احترافية قادرة على الاضطلاع بنشر أعمال سلامة عبيد؟

3. طرائف من الصين
مخطوط من جزأين

❖ الرغبة في إنجاب ولد ذكر كانت رغبة سائدة في الصين، ولا تزال إجمالا !!.. ولهذا تسمى البنت البكر أحياناً «تشاو دي» وترجمته «تلوح بيدها لأخيها»!

❖ سونغ لين «وترجمته» غابة الصنوبر والسبب في هذه التسمية هو أن العرّاف بعد قراءة طالع المولود ينصح الأهل بأن يدخل في اسمه مادة الخشب التي تتفق مع تكوينه الطبيعي، وهكذا تتكامل العناصر الطبيعية في حياته.

كما يوثّق المخطوط الأمثال الصينية مثل:

❖ كوب ماء لا يطفئ عربة مشتعلة.

❖ عندما تنطلق كلمة لا تستطيع أربعة خيول أن تلحق بها.

ويتطرق إلى المعتقدات والخرافات أيضاً:

❖ السيوف الخشبية المصنوعة من خشب الدراق تصد الشياطين وتمنع الحسد، وثماره تطيل العمر، بل هي تمنح الإنسان الخلود.

يعرّف الكتاب القارئ بالفنون والمشغولات الحرفية التي اشتهرت بها الصين:

❖ نحت كرات متداخلة من العاج، تصل إلى 32 كرة متداخلة أو أكثر قد يعمل عليها الفنان سبع سنوات متواصلة.

كما يشتمل على موضوعات أخرى عديدة مثل:

❖ القواعد في اللغة الصينية كالمذكر والمؤنث.

❖ العادات والتقاليد في الأفراح والمآتم.

بعض المعلومات المفيدة والطريفة، والتعريف بالحضارة والحياة الصينية في أدق تفاصيلها.

أدب الرحلات

1. الشرق الأحمر

كتب الأستاذ فوزي معروف في كتابه: «سلامة عبيد الأديب الإنسان»

كان سلامة عبيد من الذين زاروا الشرق - الصين وكتب عن زيارته في كتاب «الشرق الأحمر»...

وإذا كان لكل كتاب قصة، فإن قصة هذا الكتاب يرويها الكاتب بأسلوبه الساخر فيقول:

«كنتُ أعلم أن مؤتمراً طارئاً للكتاب الأفريقيين والآسيويين سيعقد في عاصمة جمهورية الصين الشعبية، ولكن لم يخطر على بالي أن أكون بين المدعوّين إلى هذا الاجتماع الطارئ.. ومع ذلك لم أتردد في قبول الدعوة، سيّما وأن الأسطورة في جبالنا لاتزال تردد: بأن الصالحين من أسلافنا يعيشون خلف السور العظيم بانتظار اليوم الموعود...»!!

حوى كتاب «الشرق الأحمر» مشاهدات المؤلف وأحاسيسه، وما أحب أن نتعلّمه من الصين وتجربتها، ولا يخفي ميوله ومشاعره الذاتية تجاه هذا البلد، الذي أعجب بشعبه وتجربته.. فسافر إليه - ثانية ليعيش فيه أكثر من عشر سنوات.

2. مع الرئيس ماو

حياة الرئيس ماو اليومية كما يرويها أحد مرافقيه... كتاب يحكي النضال المرير الذي خاضه الشعب الصيني وقياداته للوصول إلى الاستقلال، كما يصف حياة الرئيس ماو منذ الطفولة ونضاله ضد العدو الخارجي والأعداء الداخليين.

سلامة عبيد والترجمة

تنبه الأديب سلامة عبيد إلى أهمية ترجمة الكتب التي وضعها مستشرقون زاروا المنطقة، وقد قام بترجمة بعض ما كُتب عنها ومنها كتابان مطبوعان.. كما ترجم عن الفرنسية والإنكليزية، وصدر له كتاب ترجمة عن الشعر الصيني.

1. جبل حوران في القرن التاسع عشر.

مقتطفات من كتاب: رحلات في سورية للمستشرق جون لويس بركهاردت... طُبع في «مكتب نجيب حرب للطباعة والنشر» عام 1955

يقول المعرب في مقدمته:

هذه مقتطفات من كتاب فريد ضخم للمستشرق الرحالة الذي أقام في سورية من عام 1810 إلى عام 1812...حبذا لو اهتمت الحكومة السورية بنقله إلى العربية لنفاسته وطرافته...

وهذا الكتاب فاتحة لسلسلة من الكتب: للقس بورتر(تمت ترجمة أجزاء منه) و لدوسو ، وماكلر، ، وبل، وماسكل، وبوردو، وغيرهم.

جاء في الكتاب:

«كانت السويداء يوماً ما إحدى مدن حوران العظمى، ومحيط خرائبها لا يقل عن عشرة أميال وبين هذه الخرائب يمر شارع بخط

مستقيم، ولا تزال الأبنية قائمة على جانبيه، وقد استغرق معي السير فيه من أوله إلى آخره مدة اثنتي عشرة دقيقة»....

الكتاب صادر عن مكتب حرب للطباعة والنشر...أوائل الخمسينيات.

يمكن الاطلاع على الكتاب بالإنكليزية باسم:

Travels in Syria and the Holy Land

2. رحلة في جبل حوران

من كتاب القس بورتر. تمت طباعته عام 2015. وهذا مُقتطف من الكتاب:

ماذا نعرف عن البثينة؟

أبناء السويداء يعرفون أنها قرية صغيرة من قرى المحافظة... وغيرهم قد لا يعرف شيئاً!!

«ليس هناك أدنى شك في أن البثينة قد حافظت على اسم المقاطعة الرومانية بثينا.... لقد عرفنا الآن أننا نحتاج إلى شهر كامل لزيارة البقايا الأثرية الشيقة المنثورة على سفوح هذه التلال..

إن الأرض هنا لا تنافسها أرض في الخصب، وقمحها أحسن قمح في سورية.... فالحقول تبدو الآن خضراء تغطيها الحبوب النامية التي كانت ترتفع عن الأرض بروعة وبهجة».

3. مقطوعات شعرية
من الأدب الصيني القديم

ترجم الأديب مجموعة من القصائد لأهم الشعراء الصينيين، وقد صدرت في كتاب **عن دار منشورات الصين عام 1983**

كتب في المقدمة:

«الشعرُ يقفُ على قدمين إحداهما الموسيقا، والثانيةُ المعنى أو المعاني، ولهذا كانت ترجمةُ الشِّعرِ تحرمه من إحدى ساقيه، فإذا هو شعرٌ أعرج أو كسيحٌ، وإن ظلَّ لسانُ ذوي العاهاتِ فصيحاً معبِّراً في بعضِ الحالاتِ.
حاولتِ الترجمةُ أن تسبغَ الموسيقا الشعريَّة على بعضِ المُختاراتِ، وتركتْ بعضَها.»

وهذه احدى القصائد:

في الرِّيف

ما أجمل بيتي في الرِّيفِ
في الرّيف الفتان النّضِرِ
أختالُ بظلّ حديقته،
وأسرِّح في الدنيا نظري!
النَّهرُ يمرُّ به غرداً
يزهو بأكاليلِ الزَّهرِ.
وصغارُ الأسماك انطلقت

تتراقص، نشوى بالمطرِ
وتجوب، الجوَّ سنوناتٌ
والشمسُ تودِّعُ في خفرِ
أرجاء مدينتنا ازدحمت
بألوف الدّور وبالبشرِ
وهنا بيتان، ولي بيتٌ
في الرِّيف الفتانِ النّضرِ.

وهذه قصيدة أخرى:

ببغاء أسرة تسين

للشاعر دو فو الذي نبذه القصر، وخلّده الكوخ

آه، يا ببغاء تسين
أنت الطائر القادر على الكلام
ألا ترى المظالم
التي يشكو منها الدجاج والسنونو؟ !
فإذا أنت لا تبدي الشكوى
أمام السادة الحكام
فما جدوى صراخك هذا
وكلامك الفارغ؟!

سلامة عبيد والتأليف الجامعي

عادة ما يقوم عدد من أساتذة الجامعة بوضع كتاب واحد. سلامة عبيد ذهب إلى الصين لتأسيس قسم اللغة العربية في جامعة بكين، ولم يكن هناك كتب للقسم فقام بوضع عدد منها متطوعاً ومجاناً، بل إنّه كثيرا ما كان يطبع الكتب من ماله الخاص. الكتب تنوعت بين اللغة والأدب والتاريخ والديانات والتراث، وكتبت بعناية واهتمام، لتدرّس سنة بعد أخرى، ومعظم هذه الكتب يمكن اعتمادها لتدريس اللغة العربية للأجانب في أي بلد في العالم. فيما يلي لمحة موجزة عنها مع العلم أننا قرأنا عن أسماء كتب وضعها ولم تصلنا نسخٌ منها..

1. موسيقا الشعر العربي
جامعة بكين 1979

فيما يلي مقتطفات مما جاء في التعريف بالكتاب:

الهدف من هذا الموجز في العروض أو موسيقا الشعر العربي هو:

1. الاطلاع على الأصول الموسيقية للنَّظم اطلاعاً موجزاً وكافياً.

2. التدرب على قراءة القصيدة قراءة موسيقية تضيف إلى المعاني اللحنَ المناسب أو الإيقاع المناسب.

3. قراءة الشعر قراءة إيقاعيّة تساعد على إجادة القراءة في الشعر والنثر معاً من حيث النبرة والتفخيم والترخيم، وإجادة نطق مخارج الحروف.

4. محاولة إبداع طريقة جديدة تساعد على استيعاب الموسيقا الشعرية، والقدرة على تحليلها والتمتع بها.

5. التركيز على التمارين التطبيقية والمقارنات الضرورية.

2. ملاحظات حول الترجمة

كتاب يشرح أهم القواعد اللغوية بأسلوب شائق مبسط، ولكنه غني بما يحتاج إليه المترجم إلى العربية من معلومات وهو من مجموعة الكتب التي وضعها لقسم اللغة العربية في بكين.

مما ورد في الكتاب تعريف وجوه التشابه والاختلاف بين الخبر والصفة والحال، وأعطى أمثلة على ذلك:

إن الخبر والصفة والحال أشقاء ثلاثة متشابهون، ولكنهم ليسوا «توائم».

ونلاحظ أنّ لكل واحد منهم شخصية مستقلة، وملامح خاصة تميّزه عن شقيقيه الآخرين.

1. أطلق الصيادُ النارَ فسقطَ الغزالُ الجريحُ.

2. أطلق الصيادُ النارَ فسقطَ الغزالُ جريحاً.

في المثال الأول (أ) يبدو أنَّ الغزال كان جريحاً قبل أن يطلق الـصياد النار عليه، ربمّا جرحه صياد آخر، أو حيوان مفترس قبل ذلك.

أما في المثال (ب) فـإن الجـرح جديـد طـارئ مفـاجئ، ولـيس صـفة قديمة قبل إطلاق النار.

1. تراجعَ العدوُّ المنهوكُ القوى
2. تراجع العدوّ منهوكَ القوى

في المثال الأول (أ) يبدو أن العدو هو منهوك القوى قبل أن يتراجـع، وفي أثناء التراجع.

أما في المثال الثاني (ب) فإن العدو يبدو منهوك القوى أثناء التراجع ولا نعرف كيف كانت حالته قبل ذلك.

ثم يتابع بإعطاء أمثلة على التشابه والاختلاف فيما يتعلق ب«الخبر».

3. لمحة عن تطور الشعر العربي
من الجاهلية حتى مطلع القرن العشرين

كتاب وضعه الراحل سلامة عبيد لتعريف الطـلاب الـصينيين بالـشعر العربي... وقد نجح من خلال كتاب واحد موضوع بتركيز وعناية أن يغطـي مراحل الشعر العربي المختلفة مع تعريف بالأحداث التاريخية وأهم الشعراء العرب ونماذج من شـعر كـل مـنهم، بالإضـافة إلى شرح القـصائد والتعليـق عليها.

أهم الموضوعات التي تناولها الكتاب:

❖ التعريف بالشعر الجاهلي وتوضيح أهميته وأثره في حياة العرب الجاهليين.

❖ أغراض الشعر الجاهلي: الفخر بالنفس أو بالقبيلة، المديح، الهجاء، الغزل، الوقوف على الأطلال، آراء في الحياة.

❖ نماذج من الشعر الجاهلي، لبعض الشعراء مثل: زهير بن أبي سلمى، طرفة بن العبد، امرئ القيس وغيرهم، والتعريف بهم.

❖ الشعر في الإسلام: أهم أغراضه: الدفاع عن الإسلام والمسلمين، الاستشهاد بشعر حسان بن ثابت مثلاً.

❖ نبذة تاريخية عن العصر الأموي، والأحداث التي مرّت على العرب في تلك الفترة.

❖ الشعر في العصر الأموي: الشعر السياسي (مدح الأمويين)، الغزل، الهجاء؛ وغير ذلك.

❖ نماذج من العصر الأموي لبعض الشعراء: الفرزدق، جرير وغيرهم.

❖ الشعر في العصر العباسي وأغراضه الغنية والمتنوعة: الشعر الاجتماعي والسياسي، الغزل والمجون، الفلسفة، ووصف الطبيعة.

❖ نماذج من الشعر العباسي: المتنبي، أبو العلاء المعري، البحتري، أبو نواس، أبو العتاهية، ابن الفارض وغيرهم، يقدم الكتاب أيضاً نبذة عن حياة كل منهم.

❖ الشعر الأندلسي: التجديد والشعر الغنائي، وخاصة في الموشحات، أغراض الشعر، ثم نماذج من قصائد بعض الشعراء: ابن هانئ، ابن زيدون، ابن الخطيب.

❖ ويمر الكتاب سريعاً على عصر الانحطاط الأدبي، ثم يعود إلى التركيز على القرن العشرين: فيشرح أغراض الشعر، وخاصة الاتجاهات الأدبية السياسية، ويختار شعراء من المشرق العربي، ومن شعراء المهجر هم: أحمد شوقي، رشيد سليم الخوري، أبو القاسم الشابي، إبراهيم اليازجي، إلياس فرحات وغيرهم.

4. مختارات من قصائد فلسطينية

اختار الأديب مجموعة من القصائد الرائعة لعدد من شعراء الأرض المحتلة وقد وضع لكل قصيدة شرحاً لمفرداتها، وتعليقاً يعرّف الصينيين من خلاله بقضية فلسطين ومعاناة شعبها... وهو كتاب نموذجي لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها.. وهاتان قصيدتان من الكتاب:

لنْ أبكي:

للشاعرة فدوى طوقان

أحبائي!

مسحت عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية

لألقاكم وفي عينيّ نور الحب والإيمان

بكم بالأرض بالإنسان
فواخجلي لو اني جئتُ ألقاكم
وجفني راعش مبلول
وقلبي يائس مخذول
وها أنا، يا أحبائي، هنا معكم
لأقبس منكمو جمره
لآخذ يا مصابيح الدجى من زيتكم قطرة
لمصباحي.
(في هذه القصيدة تخاطب الشاعرة شعراء الأرض المحتلة)

تعليق:

الشاعرة فدوى طوقان تلتقي في الأرض المحتلة بشعراء الأرض المحتلة

تكاد تبكي عندما تجتمع بهم وتتجاذب أطراف الحديث معهم.

ولكنها تمسح الدمع من عينيها بشجاعة، تستمد القوة من قوتهم، والأمل من قلوبهم المفعمة بالأمل والرجاء.

(القصيدة مدرجة في الكتاب بالكامل).

لا تسافر

للشاعر سالم يوسف جبران

قف هنا، لا تترك الأرض وحيدة

تسأل الدنيا وتبكي:

(أيها أحلى، حقول القمح في أرضي، وزهر البرتقال،

وكروم العِنَبِ السَّلطي، والماء الزلال..

أم حقول الموت في غابات أمريكا البعيدة؟))

(قف هنا...لا تترك الأرض وحيدة..

قف هنا.. إنَّ ذئاب الليل ترجو أن تسافر

لترى أرضك عزلاء حزينة

بعد أن كان بها رِضوان يحميها، ويسقي زرعها

بعد أن كانت مصونة.

تعليق:

تحاول سلطات الاحتلال أن تضايق الشباب العرب المقيمين في الأرض المحتلة لترغمهم على ترك قراهم والهجرة إلى البلاد العربية، أو تشجعهم على السفر إلى أمريكا اللاتينية، وعندئذٍ تستولي على قراهم وتعطيها إلى اليهود المهاجرين.

5. أمثال من ألف ليلة وليلة

نظراً لأهمية قصص ألف ليلة وليلة لمن يدرس الآداب الشرقية، فقد قام الأديب باختيار ألف تعبير ومثل وبيت شعر من ألف ليلة وليلة ليشرحها للطلاب.. من تفسير المفردات إلى توضيح الفكرة أو المناسبة التي وردت فيها، وعلى سبيل المثال:

❖ مثل الكراث شايب وقلبه أخضر: يضرب هذا المثل في الشيخ العجوز الذي ما زال يرغب في النساء.

❖ شيخ البحر: أصبح رمزاً للاستعمار والمستعمرين، أو للحكم الفردي والاستبدادي.

❖ جابر عثرات الكرام: يطلق هذا النعت على الشخص الذي يساعد الآخرين مساعدة قيمة، ولكن دون أن يعلن عن نفسه أو يتباهى بذلك.

6. القراءة العربية

كتاب تعليمي يشمل نصوصاً مع دراسة وأسئلة على النص، وقد تم اختيار النصوص المتنوعة بعناية، بعضها يصف أماكن يعرفها الطالب فتسهّل عليه فهم النص، على سبيل المثال: فندق الصداقة، سور الصين العظيم، المرأة في الصين. وبعضها يهدف إلى تعريف الطالب بالمحادثات التي يحتاج إليها إذا جاء إلى البلاد العربية: من يوميات مدرس مريض في المستشفى،

في مخازن بكين الكبرى. والبعض هو تعريف بتاريخ وحضارة العرب مع إضاءة على بعض البلدان العربية: العرب والحضارة، دمشق، لبنان، جولة في الإمارات العربية...

كتب الأديب النصوص بالأسلوب السهل الممتنع، الذي يعطي النصوص قيمة كبيرة في أسلوبها ومعلوماتها مع الحفاظ على سهولة قراءتها وفهمها.

مفردات كل نص مشروحة بعناية، وبعدها وضع المؤلف مجموعة كبيرة من الأسئلة التي تختبر فهم الطالب للنص وقدرته على التعبير عن فهمه بعربية سليمة.

كتاباته حول الأديان

1. مقتطفات مقارنة
من الديانات السماوية الثلاث

دراسة مقارنة للديانات السماوية تلقي الضوء عليها بطريقة موضوعية جادة. يركز الكتاب على التعريف بالديانات السماوية، وعلى القواسم المشتركة بينها. وقد قام بوضع الكتاب بعد دراسة جادة لها ووضع مقارنات دقيقة بينها مرتكزة على شواهد مأخوذة من الكتب السماوية. وكتابته عن الديانات تأتي دون تعصب لدين أو مذهب دون آخر، بل بقلب منفتح على الإنسانية جمعاء وعلى المحبة وقبول الآخر وعمل الخير، والكتاب دعوة للبحث عن نقاط الالتقاء، وليس الاختلاف والتناحر.

أذكّر بما كتبه سلامة عبيد في قصيدة الله والغريب عندما يناجي الله بهذه العبارات:

لم ترني يوماً بمحرابكْ
أتلو صلاتي ساجداً راكعاً
لم أذبح الخرافَ في الأعيادْ
لم أحرق الشموعَ في الميلاد
لكنما كانت صلاتي إليك

وشوشةَ الأنسام للأقاح
ترنيمةَ الأطيار للصباح

2. المحرمات والمكروهات في القرآن

وهو كتاب يعرّف الأجنبي بالدين الإسلامي من خلال بحثٍ مبسّط لا يتطرق للتفاسير والآراء المختلفة، فالأجنبي قد لا يعرف الكثير عن التعاليم الإسلامية، أو يعرف عنها معلومات مشوهة أو مغرضة...

أورد الكتاب بحثاً حول مكروهات السلوك الفردي التي نهى عنها القرآن كالظلم والغش والزنى، والبخل أو الإسراف الشديد، كما حذر من عقوق الوالدين ومن الاختيال والغرور، وغير ذلك من الأمور المكروهة.

ينتقل الكتاب من السلوك الفردي إلى السلوك الاجتماعي مثل: عدم الإكراه في الدين، التحذير من كنز الأموال أو سوء استخدامها، ومن الغش وشهادة الزور.

ويشرح الكتاب الشعائر الدينية وأركان الإسلام الخمسة، وكذلك المعتقدات، ويبين ما هو محرم كالميتة ولحم الخنزير.

3. المعارضة والمعارضون
في عهد النبي «صلعم»

الكتاب يستعرض الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة، وكيف أن رأس المال والكهانة هما مصدران من مصادر الظلم الاجتماعي، وكيف أن الإسلام جاء رسالة تعمل على إصلاح المجتمع.

والمعارضون كانوا من الذين رفضوا التخلي عن الأصنام، واعتبروا ذلك تسفيهاً لمعتقدات آبائهم وأجدادهم، ومن الذين خافوا على امتيازاتهم وأموالهم ورفضوا الزكاة، كما كان منهم من لم يتقبل فكرة الجنة والنار.

وينتقل الكتاب إلى التعريف بالهجرة إلى المدينة حيث وجد فيها ترحيباً لا يزال رنين مزاهره يدوّي ويطرب:

طلع الفجر علينا من ثنيّات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

الفصل الثاني
شهادات النقاد، وفاء الأصدقاء، وحكايا الأبناء والطلاب

مقتطفات مما كتبه النقاد والأصدقاء

أكرم زعيتر[12]

كتب المرحوم أكرم زعيتر رسالة إلى الأديب بخط يده، فيما يلي مقتطفات منها:

منذ أيام أتيح لي الشخوص إلى عمان، وكان لا بد لي في طريقي من رفيق أنيس، فكان ديوانك الرفيق الأنيس.. ورحت أقرأ ثم رأيتني أرتل وأشدو وأترنم..

ديوانك يا صديقي يشهد أنك الشاعر الشاعر وأنك الوجداني المبدع!

إن في قصائدك ما يأثم الملحنون إذا توانوا في تلحينها، و«الحدود المحطمة» صلاة كل من يدين بالوحدة، وهي ذاتها، عينها، ما يجب أن تكون نشيد الوحدة على أن يتفق لحنها وجزالتها وإيقاعها ودويها!!

أما قصيدة «لن أكون» فقد وددت لو كان الأمر بيدي لحتّمت على المحفوظات المدرسية أن تسلكها في عقدها يستظهرها جيلنا الصاعد الطموح..

عمر الدقاق[13]

كتب الدكتور عمر الدقاق الذي التقى «سلامة عبيد» في الصين أواخر السبعينيات: «ورحل إلى أبعد من الصين»:

...ثمّة فئة قليلة وصفوة ضئيلة، من بني آدم، يجود بهم الدهر، ليكونوا بركة على الحياة ينتفع بهم الناس ويحلو بفضلهم العيش، ويغتني الوجود ولا ضير أنهم قلة في غمار الكثرة.

غير أن ما يحزّ في النفس أحياناً، أن بعض هؤلاء الأفذاذ الذين شاركوا في صنع الحياة، وأسهموا في إغنائها، وتركوا بصماتهم على صفحتها، كثيراً ما يرحلون عن دنيانا، دون أن نحس بغيابهم أو نبالي بهم، ولعل هذا من قبيل العقوق والجحود ونكران الجميل.

...سلامة عبيد الأديب والشاعر والقاص والكاتب وفوق ذلك الإنسان... الذي كان يؤمن بأن العطاء ليس له حدود وأنّ العطاء عنده لا يتجزأ في التعليم والتأليف وفي الحياة، وكأنه - وهو الذي وعى حديث الرسول العربي «اطلبوا العلم ولو في الصين»، آثر أيضاً أن يحقق فكرة «انشروا المعرفة ولو في الصين».

مارون عبود[14]

اختار الأديب مارون عبود سلامة عبيد واحدا من نخبة من الشعراء في الوطن العربي ليكتب نقدا جميلا عن ديوانه «لهيب وطيب»، وذلك في كتابه الذي يمكن تحميله عن الجوجل «نقدات عابر» ، وقد جاء في الكتاب:

لهيب وطيب.. ديوان سلامة عبيد.... شاعر جبل العرب.

يقول المثل: «الديك الفصيح من البيضة يصيح »، وما مر على سلامة شهران حتى استبشرت بأن سيكون عندي تلميذ ناجح. ففي ساعة درسي كان لا يفارقني نظره. عينان ناعمتان، ووجه يفيض نشاطاً وإخلاصاً. نصف ابتسامة تتبعها أجوبة محكمة، ووظائف تنم عن ذكاء واجتهاد.

قلت له حين كنت أعلمهم العروض: ستكون شاعراً يا سلامة، فانتشر جلده عليه، ولا عجب فهو من الشعب المعروفي، الأصيل في العروبة.

فوزي معروف[15]
سلامة عبيد الأديب الإنسان

كثيرون لا يعرفون شيئاً يُذكَر عن الذي «نشر المعرفة في الصين» وإن عرفوا شيئاً عنه فإن هذه المعرفة لا تتعدّى الاطّلاع على بعض شعره.

ورغم ما في حياته وآثاره من قيم ثرّة ومجالات واسعة تستدعي الحديث والكتابة فإنه - حتى الآن لم يظهر كتاب مستقل عنه، وإن كان

العديد من المقالات والكلمات قد نـشرت عنـه في صـحف ومجـلات عربيـة، وفي بعض الصحف الصينية كما خصّته بعض المجلات بأعداد خاصة تحدّثت عنه مثل «الثقافة الأسبوعية» و «الثقافة الشهرية».

وكذلك تحدّث عنه بعض الدارسين والكتّاب وهم يتحدّثون عن فنـون الأدب واتجاهاته في القطر العربي السوري.

كان ما سبق هو الدافع لوضـع هـذا الكتـاب، وهـو الأول عـن حياتـه وآثاره التي أُتيح لنا الاطّلاع عليها، لأنّ بعض أعماله لا زال مخطوطاً.

ترك سلامة عبيد من الآثار والتأثير ما يدعو إلى التساؤل هل يستطيع أحد أبناء اليوم، أن يؤثر بالقدر الذي أثر فيه سلامة عبيـد؛ حتـى لـو تـرك ذاك مثل ما ترك هذا من آثار مكتوبة؟

الكتاب من أربعة فصول:

الأول: تناول محطات هامة في حياته، كما حـاول اسـتخلاص ملامـح شخصيته، وأبرز صفاته،

الفصل الثاني: تعرّض له شاعراً فتحدّث عـن ديوانـه «لهيـب وطيـب» بما فيه من مواقف وقضايا وملامـح تجديـد... وقـد تطـرق الأسـتاذ فـوزي معروف إلى موضوع الريادة في كتابة شعر التفعيلة فكتب:

كتب شاعرنا القـصيدة العموديـة، وكتـب قـصيدة المقـاطع، كـما كتـب قصيدة التفعيلة....وكان في كل ما كتب يحافظ على موسيقا الشعر...

و«شعر التفعيلة» كما نسميه اليوم نجد مثاله في قصيدة «إلى ابنتـي» التي كتبت عام 1946 أي قبل الـزمن المعـروف عـن ولادة هـذا اللـون مـن الشعر على يد بدر شاكر السياب ونازك الملائكة.

الفصل الثالث: ركز على وجود سلامة عبيد في الصين أستاذاً للغة العربية في جامعة بكين.. وإنجازاته في هذه المرحلة الغنية من حياته في التأليف والترجمة ووضع معجم الصينية- العربية...

الفصل الرابع: مختارات شعرية ونثرية...

صالح زهر الدين[16]

موسوعة: رجالات من بلاد العرب

تقدم موسوعة الدكتور صالح زهر الدين تعريفات عن عدد ممن سماهم الكاتب: صناع التاريخ منهم: جمال عبد الناصر، سعد زغلول، عادل أرسلان، عارف النكدي، عبد الرحمن الكواكبي، فارس الخوري وغيرهم....

خصصت الموسوعة عشر صفحات للراحل سلامة عبيد شملت نبذة عن حياته، ومقتطفات من شعره... وقد ختم الباحث دراسته عن سلامة عبيد بهذه العبارات:

«يكفي سلامة عبيد شرفا أنه: ولد شهما، وعاش شهما، ولم يقبل أن يموت إلا شهماً.

فطوبى للرجولة والشهامة بأمثاله.»

سيف الدين القنطار[17]
أعلام في السياسة والأدب والفن
(اتحاد الكتاب العرب 2013)

اختار الأستاذ سيف الدين القنطار خمسة أعلام ليكتب عنهم وهم: شكيب أرسلان، رشيد طليع، أسمهان، سلامة عبيد وصياح الجهيم.

ومما كتبه عن سلامة عبيد:

كان لمّاحا، سريع الخاطر، يتقن فن السخرية، وما زال أبناء الجبل يرددون نوادره المحببة.....

كتب سلامة عبيد عن نفسه وعن عصره، ومن يكتب عن نفسه وعن عصره بصدق، فهو يكتب عن كل الناس وكل العصور. (ص 182)

سيف الدين القنطار، حكمة السنديان[18]

أصوات روائية من جبل العرب (وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب 2018)

تناول الكاتب (أبو صابر) باعتباره نموذجاً للرواية التسجيلية. الدراسة تقع في 24 صفحة وقد بدأ كتابه بهذه الدراسة والتلخيص لأحداث الرواية.

محمد طربيه
نعمة النقد[19]
تاريخ ومؤرخون[20]

في كتابه نعمة النقد وضع المؤلف محمد طربيه فصلاً بعنوان: دراسة في ديوان (لهيب وطيب) للمرحوم سلامة عبيد.

يقول الأستاذ محمد إن الشعر عند سلامة عبيد موقف، فهو قبل كل شيء صاحب رسالة لحمتها الخط الوطني الصادق النزيه، الذي لا يهادن ولا يساوم ولا يستجر بالترغيب ولا يأبه بالترهيب، وسداها بعثٌ عربي لأمة ران عليها الجهل والخنوع، بعثٌ لا يتخلى عن الأصالة العربية، ولكنه يضيف إليها قيما جديدة متجددة هي قيم العلم والتحرر والتقدم، ويزاوج بينهما.

ينتقل الأستاذ محمد إلى الأشكال الفنية ليقول إنّ سلامة عبيد كان من الرواد الأوائل المهدين لحركة الشعر العربي الحديث....ونحن نجد في قصائد مثل (يا شعب) و(الخريف) و(غداً) مصداقا لما نقول، حيث يتلاعب الشاعر بعدد التفعيلات ويزيد وينقص حسب مقتضى الحال، مثلما ينوع في القوافي ويبتعد بالقصيدة عن الرتابة المعهودة.

وفي كتابه تاريخ ومؤرخون وضع فصلاً من عشرين صفحة بعنوان «سلامة عبيد مؤرخا»

كتب الأستاذ محمد طربيه: لا تقتصر مساهمة سلامة عبيد في ميدان التاريخ على كتابه المعروف: «الثورة السورية الكبرى» بل إنها تتعدى ذلك إلى أبحاث ومداخلات ربما ليست معروفة للكثيرين، من ذلك مقالة بعنوان: «العرب بين الفتوح والتحرير» في العدد 30 من مجلة المعرفة السورية آب

1964.. وقد طرح فيها أفكارا رائدة لم تكن معتادة في تلك الفترة، فقد دعا إلى إعادة النظر في الكثير مما كان يعتبر مسلمات تاريخية فيقول: «مهما بالغنا في رحمة الفاتحين العرب بشعوب البلاد المفتوحة، فإنه لا يمكننا أن نصدق مثلا أن الإسبان هم الذين زينوا للعرب دخول بلادهم واحتلالها».

عن كتاب الثورة السورية الكبرى يقدم الأستاذ محمد عرضا مدروسا وشائقا لموضوعات الكتاب مركزا على دقة وموضوعية سلامة عبيد في كتابته عن الثورة، ويتكلم عن أهمية الوثائق التي يحتويها الكتاب... يتابع الأستاذ محمد ليقول: «لقد قدم سلامة عبيد بحثا منهجيا متسلسلا ومتكاملا، وقد نقل بذلك التاريخ من بلاغة الإنشاء إلى رصانة العلم » ويضيف «إن دور سلامة عبيد في(التاريخ) دورٌ متميز ، وإبداعه في ميدان البحث والتأليف التاريخي لا يقل أهمية عن إبداعه في مجال اللغة والأدب شعرا ونثرا».

جميل حسن[21]

قراءات في الشعر السوري الحديث

أفرد الأديب والباحث جميل حسن ما يزيد على عشرين صفحة عن سلامة عبيد في كتابه: «قراءات في الشعر السوري الحديث» الذي صدر عن اتحاد الكتاب العرب عام 2009.

وقد جاء في كتابه:

«سمعته يلقي قصيدة وكنا طلاباً في المرحلة الإعدادية في تجهيز اللاذقية، وكان الاحتفال في سينما بشارع هنانو، وكنا نفراً من الطلبة مع جماهير من الشعب نحتشد أمام باب السينما نسمع من خلال مكبر الصوت...»

ويضيف الأديب والناقد جميل حسن:

«الشاعر لم يأت مادحاً أو واصفا حالة جهادية هو خارجها، بل هو في صميمها.. فكأنه المتنبي في جيش سيف الدولة...».

مقالة عن سلامة عبيد بقلم «لوي شي هدي»[22]

كتب «لوي شي هدي» مقالة طويلة في مجلة «بناء الصين» تحت عنوان «تسع سنين في جامعة بكين». أقتطف منها:

هو واسع المعرفة وخاصة أن مستواه اللغوي والأدبي عالٍ جداً... إنه جدير بلقب «الموسوعة الحية».

الأستاذ عبيد يتقن الفرنسية والإنجليزية فوفّر له ذلك شروطاً صالحة للعمل، وهكذا قام بدور عظيم وأنجز أعمالاً ضخمة في تأليف المراجع والمعاجم مثل:

«المفردات المبوّبة الصينيّة العربية» وهو يحتوي على ما يقرب من أربعة آلاف مثل صيني يُقابلها كثير من الأمثال العربية و «القاموس الصيني ــ العربي» المؤلف من أكثر من ستة وخمسين ألف كلمة مع الأمثلة عليها والشروح...

نايف عبيد
ذكريات

عندما زرتُ جامعة بكين في شهر نوفمبر عام 2009 بدعوة من الجامعة لإلقاء محاضرة حول العلاقات الخليجية ــ الصينية، أخذنا مدير الجامعة إلى قسم اللغة العربية في الجامعة وفيها مكتبة وقال لنا: هذه هي الطاولة التي كان يجلس خلفها الأستاذ سلامة، وهذا هو الكرسي الذي كان يجلس عليه، وهذه هي المكتبة التي كان يستخدمها.

وعندما زرت كلية العلوم الأجنبية في جامعة شنغهاي بدعوة من الكلية لإلقاء محاضرة أيضاً في نفس شهر نوفمبر 2009، قدم لي مدير الجامعة نسخة من القاموس الصيني - العربي الذي طُبع بعد وفاة المرحوم أخي سلامة، في الصفحة الأولى من القاموس «إهداء إلى روح الأستاذ سلامة عبيد».

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

كتب الدكتور نايف عبيد أيضاً

التقيت بالأديب الصيني تشونج جيكون في أبو ظبي عندما فاز بجائزة الشيخ زايد للكتاب عام 2011 ودعوته إلى بيتي.

كانت دهشتنا كبيرة عندما قفز فجأة عن الكرسي الذي كان يجلس عليه ووقف ونظر إلى صورة المرحوم أخي سلامة المعلقة على الجدار وراح ينهنه بصوت مرتفع ويذرف الدمع ويقول: هذا أستاذي ومعلمي (ومن

الجدير بالذكر أن عمر الأديب الصيني تشونج يتجاوز السبعين عاما) وراح يحدثنا عن المرحوم أخي سلامة. وروى لنا أنه كم كان زاهداً في الحياة الدنيا، وعن سمو أخلاقه وغزارة ثقافته. قال لنا: «كانت إدارة الجامعة تضع راتبه تحت الوسادة التي ينام عليها في غيابه، لأنه لم يكن يقبل أن يستلم راتباً أعلى من رواتب زملائه الصينيين، لأنه كما هو معروف الأستاذ الأجنبي المنتدب يتقاضى راتباً أعلى من راتب الأستاذ الصيني».

سرحت مخيلتي لتقارن بينه وبين البعض الذين لا تشبعهم أملاك الدنيا!.

نايف عبيد
رسالة إلى أخي سلامة

أيها النسر المدمّى
حاملاً جُرحاً وغُربةْ
عُدْ إلينا
إننا نحنُ فراخكْ

❖ ❖ ❖

أيها النسرُ المدمّى
حاملاً جُرحاً وغربةْ
ناثراً في كل بقعةْ
ريشةً من ريشك المنثور من عصف الرياحِ
وعصارات فؤادٍ
جمرات تتهاوى من جراحهْ

❖ ❖ ❖

كلُّ ريشٍ من جناحيكَ تناثرْ
فرخُ نسرْ
وعصاراتُ فؤادكْ
نور فجرْ

❖ ❖ ❖

أيها النسر المدمّى

حاملاً جرحاً وغربةْ
عُدْ إلينا
إننا نحن فراخكْ

(أبو ظبي 1979)

العددان الخاصان بالأديب
من مجلة الثقافة

1. مجلة الثقافة الأسبوعية

مؤسسها ورئيس تحريرها الأستاذ **مدحة عكاش**

28 نيسان 1984 عدد خاص عن الأديب سلامة عبيد

بدأه الأديب **حامد حسن** من الدريكيش بمقال «ذكرى ومرارة ».. وقد جاء فيه: «يفاخر بلغته، يبشر بها، يكره الزيف، يجابه الحقيقة.. عاش الثورة فثار وتمرد على الحياة، وعلى الظلم».

شعراً كتب الأستاذ **سعيد أبو الحسن** صديق الأديب الراحل قصيدة جميلة صادقة ختمها بقوله:

«لم تمت، أنت لن تموت ولكن....أنت تحيا في خفق كل فؤاد»

الشاعر **أنور الجندي** كتب قصيدة بدأها بعبارة: إلى الصديق الراحل الشاعر الكبير سلامة عبيد، وجاء فيها:

قم من ضريحك، فالذئاب قوافل...مسعورةٌ، والنار، والأنواء

لو كنتَ حياً، لانتفضت محارباً..... ما لفق العملاء والأجراء

وبعنوان: «رحيل العباقرة» كتب الأستاذ **نعمان حرب**: «رحلت ولم ترحل.

ولسوف تبقى مع الزمن

ويبقى معك التاريخ

لأن شعرك نور لا ينطفئ

واسمك نجم لا يغيب..

رحلت، ولم ترحل»

الأستاذ **فوزي معروف** الذي وضع كتابا كاملا عن الأديب وكتب العديد من المقالات للمجلات والصحف وشارك في الندوات التكريمية، كتب: «كان العطاء بالنسبة له سعادة، وكان يحرص على أن يوفر لنفسه هذه السعادة دون حدود».

أما الأستاذ **رائد حامد** فقد اختار مقاطع من بعض القصائد معلّقا عليها، كما تحدث عن زيارته للأديب عام 1983.

2. مجلة الثقافة الشهرية

مؤسسها ورئيس تحريرها الأستاذ مدحة عكاش

في تشرين الأول من عام 1984 صدر عدد خاص عن الأديب من مجلة الثقافة الشهرية، وقد كتب فيه عدد من الشعراء والأدباء والأصدقاء والصحافيين، أذكر منهم (مع حفظ الألقاب والترحم على الذين توفاهم الله):

نعمان حرب، عبد المجيد التجار، سعيد أبو الحسن، شفيق عبد الخالق، صلاح مزهر، إبراهيم سلمان، فوزي معروف، عيسى عصفور، عادل رزق، حسين أبو فخر، محمود الجغامي، محمد رضوان، نجيب مسعود، توفيق عبيد، محمد طربيه، غازية حمزة، رياض دويعر، عودة عبدو، شكيب

نرش، أكرم المغوش، أديب عبيد، سليمان البعيني، عدنان كرباج، عادل عبيد، حمد أبو كرم، وحمد أبو طافش.

ومن الشعر اخترت هذه المقتطفات:

عادل سلمان عبيد

شراع في وجه الريح

يا أيها القديس
يا أوليس
أتعبتَ السفينة
فاخلد إلى بعض السكينة

تعب الشراع من الرياح
وأنت من بحر إلى بحر
ومن ساح لساح
يا أيها الملاح.....
غاب الرجال
وقام أشباه الرجال
في كل زاوية ترى
قابيل مزهواً
بفعلته المشينة..

لا شيء عندك

لا جيوش ولا سيوف
بعض الحروف
دكت جدار الصين
فانداح الجدار

يا أيها العربي
لا ترحل
فما زال الضباب
ملفعاً وطن العروبة
بالخطوب وبالحراب
تنوشه
ترميه من ناب لناب
وكلابه أقعت على أعتابه
مسعورة حمر العيون
لكي تذود عن الذئاب...

عيسى عصفور

الأستاذ عيسى عصفور كتب قصيدة طويلة ومؤثرة، وهذه مقتطفات منها :

«سلامة» أنت رمز عبقري لآمال مجنحة عِذابِ
عرفت العيش ملحمةً وبأساً وعزماً لا يلين ولا يُحابي
وكنت منارة الرواد إمّا ترنحت السفينة في العبابِ
وكنت سليل أبطال تنادوا إلى ساح الجهاد ليوث غابِ
وأنكرت الثراء الغر زهداً ولم تفتنك شامخة القبابِ
صبرناها سنين ملوعات وعشناها على أمل الإيابِ
فكيف رضيت أن نلقاك نعشاً حزيناً يستريح إلى التراب؟

غازية حمزة

وهذه مختارات من قصيدة رثاء طويلة وصادقة للشاعرة غازية حمزة:

سلامة يا حنين هضاب نجد لطفل هام في الصحرا، هواها
ألست العندليب إذا تغنى؟ ألست السنديانة في إباها؟
ألست الشعر تستقطرْه طيبا؟ على لهب الصحارى، على لظاها
وربي.. لا وربي.. لا أغالي لأنت الكبر يكبر في سماها
«نشيد الجيش» فزت به أصيلاً فماس الشعر مزهواً وتاها
«سلامة» يا شعورا قد تلظى وإصرارا، ورؤيا قد جلاها

❖ ❖ ❖

رياض الشعر مالك واجمات؟ فلا الأطيار توقظ من كراها
ترى شم الجبال تفيض دمعاً ترى وهداتها تنعى ذراها
ترى الأزهار حائرة المآقي تسائلنا وفاضت مقلتاها
فمن للشعر بعدك؟ للقوافي؟ وقد عجمت وفارسها سلاها
إليك تحية تندى وفاء وإجلالاً لمن شادوا عراها

الندوات التكريمية

من أهم الندوات التي أقيمت:

الندوة التكريمية 2001
اتحاد الكتاب العرب

في أيلول عام 2001 أقام اتحاد الكتاب العرب ندوة تكريمية للراحل على مدى يومين قُدِّم فيها عدد من الأوراق فيما يلي مقتطفات منها:

يقول الأستاذ إسماعيل الملحم[23] في ورقة عن المؤثرات الشخصية:

«عمل مديراً للتربية، فكان إنساناً بكل ما يعنيه هذا المفهوم في علاقاته مع زملائه وطلابه.. وإضافة إلى عمله الإداري فقد جعل من بهو مديرية التربية في الأماسي قاعة محاضرات ومنتدى ثقافياً تلقى فيه المحاضرات وتقدم الأمسيات الأدبية في كل جانب من جوانب الفكر والأدب.»

الدكتور **رضوان قضماني** تحدث عن سلامة عبيد شاعراً وممّا جاء في محاضرته:

«ها قد أتيت إليكم من حمص، لأشارك في إحياء ذكرى شاعر جليل من جبل حوران، أحبّ حمص فهي مدينة الشعر والشعراء، نفي إليها بعد

أن رفض التخلي عن مواقفه ومبادئه، فأحس في ذلك المنفى أنه بين أهله الأقربين، عمل وقاوم عهداً استبدادياً..

سار عكس التيار كما يفعل العاصي الذي رأى فيه صورة نفسه التي لم تخضع لمشيئة مستبد، وجد نفسه في العاصي الذي خالف كل أنهار الوطن الطبيعية وأبى إلا أن يشق لنفسه المجرى الذي يريده ويشاؤه، فناجاه قائلاً:

يا خضرة الوادي الخصيب لا تحجبي وجه الحبيبِ
بي لهفة المشتاق للعاصي المضمّخ بالطيوبِ ..
يا نهر، ذنبك في إبائك بعض مالي من ذنوبِ
ما زلت مثلك عاصياً والطيب ينبت في دروبي

قدّم عدد من الباحثين من شعراء وكتاب ونقاد ومفكرين دراسات عدة في شعر سلامة عبيد، منهم مثلاً مارون عبود، وميخائيل نعيمة، وعمر الدقاق.. وها بيننا يجلس الأستاذ الباحث فوزي معروف الذي خص شعر سلامة عبيد بأكثر من سبعين صفحة في كتاب (سلامة عبيد: الأديب الإنسان) فماذا يقول، أنا العبد الفقير؟ وهل يمكنني في هذا الحيز الضيق المتاح لي أن أقدم الدراسة التي تليق بشاعر جليل؟ »

ورقة الأستاذ فوزي معروف كانت بعنوان: «أيام في الصين»

وقد نقل عن أحد الطلاب الصينيين الذي تحدث عن حياة الأديب سلامة عبيد في الصين:

برنامجه اليومي ممتلئ حتى إنه يشتغل في أيام الآحاد والعطل، وحتى في طريق عودته بالقطار إلى بلاده لقضاء الإجازة يعمل أيضاً.. إنه شخص لا يعرف التعب.

الأستاذ سلامة عبيد صريح متواضع رصين صادق حماسي كريم السجية، نبيل الخلق مضياف سخي اليد بطبعه، سهل المعاشرة واسع الصدر ،كما يقول المثل الشعبي الصيني (صدر كبير يمكن أن يسير فيه القارب).

الدكتور عبد الرحمن بيطار تحدث عن سلامة عبيد مؤرخاً واستعرض كتاب الثورة السورية الكبرى والمقالات التاريخية الأخرى:

«لقد كانت أغلب الكتب عن الثورات بأقلام كتاب ليسوا من أبناء المنطقة، ولم يكونوا شاهدي عيان فجاءت كتاباتهم أميل إلى السطحية والمعلومات العامة. ولكن سلامة عبيد وهو ابن المنطقة كتب وهو وسط المسرح الذي دارت فيه الأحداث والمعارك، وبين الرجال الذين اشتركوا في الثورة، وحملوا السلاح وتحملوا النتائج وقدموا الشهداء والتضحيات المادية التي أصابت الكثيرين. إن نظرة واحدة على عناوين فصول الكتاب ترينا مدى الوعي التاريخي والتوثيقي في عرض تاريخ الثورة السورية الكبرى، فقد اعتمد الكاتب على مذكرات خطية كثيرة ووثائق ومراسلات لم تنشر من قبل ألحقها بالكتاب.»

تحدث الدكتور ثائر زين الدين عن (أبو صابر) وقد جاء في ورقته:

كتبت رواية (أبو صابر) في مطلع الستينيات على ما يبدو، وفازت في بداية عام 1966 بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية، التي أعلنها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، لكن طباعتها تأخرت

حتى عام 1971، وقد أكد الناقد د. سمر روحي الفيصل أنها كانت تستحق الجائزة الأولى، وعجب لحصول رواية «حسن جبل» لفارس زرزور على الجائزة الأولى وهي أقل شأناً وجمالاً من «أبو صابر».

في نهاية الندوة قُدمت **ورقة من ابنته ضحى عبيد** بعنوان: «سلامة عبيد سطور لم تنشر»، وعدة شهادات من معارفه وطلابه منها شهادات الأساتذة: **شكر طربين، نجم الفقيه، توفيق عبيد، يوسف قرقوط.**

الندوة التكريمية آذار 2007

أقامت وزارة الثقافة ندوة نقدية تكريمية للأديب الراحل[24]، في المركز الثقافي في السويداء، استغرقت عدة أيام، وعديداً من الجلسات، قسمت إلى أربعة محاور:

- ❖ حياة سلامة عبيد ومواقفه السياسية والاجتماعية والإنسانية.
- ❖ سلامة عبيد شاعراً.
- ❖ روائيا وقاصّاً ومسرحياً.
- ❖ لغويا ومترجماً ومؤرخاً، وواضعا لقاموس صيني-عربي.

وفيما يلي مقتطفات مما قيل في الندوة:

- **الدكتور «سلطان سعد القحطاني» من السعودية** قدّم ورقتي عمل وقد قال:« اليوم قد أتينا من كل حدب وصوب لنحتفي بهذا المبدع، فماذا أقول عنه؟ هل أقول كان مؤرخاً أم كاتباً أم روائياً أم قاصّاً أم شاعراً أم مترجماً؟ إنه رجل متعدد المشارب ويستحق كل التكريم وعلينا كمهتمين وباحثين أن نحفظ الأمانة ونسلمها للأجيال القادمة.»

- **الدكتورة «عالية صالح» من الأردن قالت:** «من خلال هذه الندوة تعرفنا إلى مبدع كبير متعدد جوانب الإبداع.....وآمل أن يتم تكوين فريق عمل يعمل على نشر جميع أعماله ودراستها بحيث تعمم هذه الشخصية الإبداعية على مستوى الوطن العربي، لأنه مناضل كبير ومفكر كبير.»

- **الدكتور «دياب قديد» من الجزائر:** «هذا الرجل كرس حياته كلها من أجل الإبداع، وكان يمتلك قدرة خارقة على التعبير عن حياته الإبداعية بطرق شتى لعل في مقدمتها أن الرجل ألف قاموساً عربياً صينياً لتعميم الفائدة، وهذا المعجم يعد من أبرز المعاجم التي لا يمكن الاستغناء عنها.»

- **الدكتور «سالم المعوش» من لبنان** اعتبر سلامة عبيد ممن تصدروا قوافل المبدعين والباحثين الذين أسهموا في سجالية التشكل الانتمائي وتأكيد الهوية، فكتبوا في فنون النثر، ونظموا الشعر، وترجموا وبحثوا، وجاهدوا من أجل تقديم الفكر العربي وتجليات العبقرية العربية على غير صعيد.

- **الدكتور «فيصل حصيد» من الجزائر** توقف عند الثقافة الشعبية وكتاب « أمثال وتعابير شعبية من جبل العرب» فقال: «ولعل ما يثير الدهشة أول الأمر في عمل الكاتب هو إحاطته في وقت مبكر بأهم الجوانب المشكلة للثقافة الشعبية الأنثروبولوجية واللغوية والاجتماعية والسياسية والتاريخية في عمل جمع بين سلاسة اللغة وجدية الطرح، وعمق الفكرة.»

- **الدكتور «ياسين فاعور» من فلسطين** اعتبر المجموعة الشعرية «لهيب وطيب» ثورة شعرية، وصرخة تحدٍ، ونضال كلمة في مسيرة شاعر. وأجمل قصائده «من دمانا» التي رد فيها على العدوان الفرنسي على سورية.

الدكتور «عبد الحسين معتوق صكر» من العراق: «لقد أحيينا ذكرى رجل كبير وعبقري فذ وشاعر ملهم وثائر يحتذى به هو الأستاذ والمفكر والمؤرخ والشاعر والمربي والإنسان... احترنا مع هذا الرجل من أين نبدأ معه وبأي شيء ننتهي.»

وفي كلمته باسم أصدقاء المكرم أوضح الدكتور «صابر فلحوط»: «أنا من طلاب الراحل ومن حواريه ومريديه، فالمكرّم أضاء وعينا في مطلع الشباب، وها نحن على مائدة تكريمه وذكراه الساطعة نلتقي، وباسم العبقرية الفذة والإبداع المجلّي ننحني بقاماتنا والهامات إكباراً وإجلالاً.»

ومما جاء في كلمة السيدة «ضحى عبيد» ابنة الأديب الراحل:

«سنعرفه شاعراً ومؤرخاً، سنعرفه في عناد السنديان فأحببت أن تعرفوه في رقة السواقي وتواضع الضفاف وشموخ النخيل والجبال، لم تغره الألقاب يوما، ولا مظاهر الوجاهة.. رغيفه كان دائما نصفين: الأول لغيرنا والثاني لنا.. منذ الطفولة كلمته الجميلة ويداه كانتا تفتحان ألف نافذة على وجه الله.. ظل أبي في أقاصي الأرض ينشر لغتنا، ويرسم عن الوطن أجمل الصور..»

تحدث الدكتور **«رضوان قضماني»** عن الريادة والتجديد في شعر سلامة عبيد، وتوقف بشكل خاص عند البنية الإيقاعية وأوجه التجديد فيها.

أما الأستاذ «**عيسى فتوح**» فقد أشار إلى أن الراحل شاعر وطني ومسرحي ومؤرخ، ومناضل قومي..

وأشار **الدكتور «أديب عقيّل»** إلى أن سلامة عبيد كان لا يحب الأضواء والشاشات والمناصب، بل كان واقعياً شفافاً، لذلك كان أبطال شعره ورواياته وقصصه من أبناء الواقع المعيش من كادحين وفلاحين وثوار مناضلين، وهو كاتب مبدع استطاع التغلب على الغربة بالتواصل والتأقلم، وإثبات الذات بالكتابة والتواصل مع الحضارة الصينية ومع الارتباط بالوطن.

الأديبة **سميحة خريس**[25] كتبت عن الندوة في كتابها " على جناح الطير": ليس الاغتراب السبب الرئيسي في أننا لم نعرف الرجل الذي وضع أضخم قاموس عربي-صيني، والذي كتب الشعر والرواية والنقد ، ولكن الواضح أن الرجل لم يكن في ركب الحزب الحاكم، فغُيّب طويلا ، إلى أن تغيرت آليات الحزب ، وجرى تسليط الأضواء على موهبته الفذّة.

وقد قدم **الأستاذ «محمد طربيه»** ورقة عمل حول كتاب: «الثورة السورية الكبرى» وأشار إلى أن دراسة سلامة عبيد التفصيلية لأسباب الثورة البعيدة والقريبة، المحلية والخارجية، تجعل منها حدثاً مفهوماً وواقعة إنسانية معللة، لذا نجا من الوقوع في مطبي المبالغة والإنشائية.

ورصد الأستاذ «**محمد حديفي**» في دراسته، طفولة المكرم سلامة عبيد المعذبة ونبوغه المبكر، وصلابته في وجه الشدائد، واستقامته في كل مناحي الحياة، وذلك بالأمثلة الحية والأرقام.

الأديب «حسن حميد» عضو المكتب التنفيذي في اتحاد الكتاب العرب ذكر أنه زار الصين وهناك لمس التقدير والاحترام وحب الصين للغة العربية عن طريق الأستاذ سلامة عبيد الدائم الذكر بالأوساط الثقافية الصينية.

كما شارك عددٌ من المثقفين بأوراق عمل قيمة، نذكر منهم: **د. عز الدين ميهوبي، د. عبد الله أبو هيف، الشاعر فؤاد كحل، د. فايز عز الدين، الأستاذ سيف الدين القنطار، د. ثائر زين الدين، والمستشار الثقافي للسفارة الصينية.**

تخلل الاحتفال الحضور المميز كمّاً ونوعاً، وعبرت الكلمات المشاركة عن مدى الإعجاب والاحترام والتَّقدير لإبداع سلامة عبيد الكاتب والروائي والشاعر والمؤرخ والباحث اللغوي المعبر عن القضايا العربية والقومية.

الأوساط الثقافية الكويتية
واهتمامها بالأديب

❖ المخرج الكويتي المعروف **حمد الرجيب** قام بإخراج مسرحية اليرموك الشعرية وعرضها في بيت الكويت القاهرة عام 1947 وقد أوردت ذلك مجلة الكويت العدد يونيو 2017

❖ اختيرت قصيدة «أغنية الخريف» أو «أغنية الحياة» للمنهاج الرسمي **لمدارس الكويت**. وقد قام الأستاذ **جهاد الحجلي** الذي يعمل في وضع المناهج في الكويت باقتراحها لكتاب الصف السادس.

❖ تم إخراج القصيدة بشكل جميل مع إلقاء معبّر ووضعت على «**اليو تيوب**».

❖ نشرت **جريدة السياسة الكويتية** في عددها 27 آذار 1984 خبر وفاة الأديب نقلا عن وكالة شينخوا الصينية، وذكر الخبر إنجازاته الأدبية مع تركيز خاص على قيامه بوضع أوّل قاموس صيني- عربي.

❖ نشرت **مجلة العربي** قصيدة: «أغنية الخريف» مع تعريف به.

موسوعات كتبت عن الأديب

إضافة إلى ما ورد ذكره سابقا جاءت تعريفات بالراحل في:

- ويكيبيديا الإلكترونيّة
- معجم البابطين للأعلام
- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 المؤلف: كامل سلمان الجبوري.
- معجم المؤلفين السوريين
- معجم الروائيين العرب
- الموسوعة الوجيزة
- المستدرك على تتمة الأعلام للزركلي
- موسوعة صادرة عن اتحاد الكتاب العرب
- موسوعة أدب الأطفال وأدباؤهم في سورية في القرن العشرين
- إضافة إلى موسوعة «رجالات من بلاد العرب» التي سبق ذكرها

برامج إذاعية ومعارض توثيقية

❖ إذاعة دمشق برنامج خاص أعده الناقد المعروف **عبد الرحمن الحلبي** عند صدور ديوان الله والغريب، وكالعادة يعكس نقد الأستاذ عبد الرحمن ثقافة وحضورا مميّزين.

❖ برنامج «منارات إنسانية» إذاعة دمشق حلقة 192 تاريخ 2017/11/25، وقد شمل البرنامج تمثيلية إذاعية عن المجاهد علي عبيد وعن حياة الأديب سلامة عبيد الشخصية وإنتاجه الفكري الغزير.

❖ إذاعة الريان، السويداء الأستاذ **معين العماطوري** يستضيف الأستاذ **محمد حديفي** ليتكلم عن الأديب في برنامج «إضاءات». كما قدم الأستاذ معين برنامجا آخر بعنوان «قامات من بلدي» عن الأديب على إذاعة الكرمة..

❖ اتحاد كتاب وأدباء الإمارات أقام ندوة في 2010/3/17 في أبو ظبي حول أعمال الأديب سلامة عبيد، وقد تحدث الدكتور **نايف علي عبيد** عن القاموس وعن ترجمة سلامة عبيد لبعض أعمال الشاعر الصيني توفو.

❖ أقام **ناصر سلامة عبيد** أكثر من معرض وثائقي لصور ووثائق الأديب، وقد قام التلفزيون العربي السوري بعمل برنامج عن المعرض، كما أشرف المهندس ناصر على عرض فيلم عناد السنديان في دور السينما.

❖ في المعارض التي أقامها **رياض نعيم** للوثائق والصحف وضع عددا من الصحف والمجلات التي كتبت عن الأديب.

❖ قام عدد من المثقفين بعمل ندوات وإلقاء محاضرات عن الأديب في عدد من المراكز الثقافية واتحاد الكتاب العرب والجمعيات المعنية بالأدب والتاريخ والثقافة داخل وخارج المحافظة، وفي لبنان، والإمارات العربية المتحدة.

❖ طلاب الجامعة كان لهم دورهم أيضا واختاروا لموضوعاتهم وأوراقهم البحثية الأديب سلامة عبيد.

فيلم عناد السنديان

كتب مخرج الفيلم الأستاذ **رياض هاني رعد:**

«الفيلم من إنتاج التلفزيون العربي السوري ضمن سلسلة وثائقية عن أعلام من بلدي واخترت الأديب الراحل الأستاذ سلامة بعد دراستي لأعماله الخالدة (شعر ونثر وترجمات ودراسات متنوعة) وما زادني حماسة زياراتي لبيته الجميل ولقاءاتي المتكررة مع السيدة الفاضلة زوجته / **أم أكرم** / رحمها الله وجعل مثواها الجّنة.. الفيلم بطاقة حب للراحل ولإنجازاته التي نعتز بها ونفاخر.. سجلت بعض الشهادات في مناقب وصفات الراحل من أصدقاء كانوا رفاق دربه وعرفوه عن كثب.. لأرواحهم السلام..»

من الجدير بالذكر أن المصور السينمائي المبدع **سمير جبر** هو الذي قام بتصوير الفيلم.

وقد تم عرض الفيلم مرات عديدة على شاشة التلفزيون، وفي مسارح المراكز الثقافية، وكذلك في عدد من دور السينما.

مقالات في الصحف والمجلات

❖ الأستاذ المحامي **توفيق عبيد** كانت تجمعه بالراحل صداقة ومحبّة وقد كتب الأستاذ توفيق عددا كبيرا من المقالات عن الأديب في الصحف والمجلات السورية والعربية، كما شارك في الندوات التي أقيمت، ولديه أرشيف غني لما كُتب عن الأديب.

❖ الأستاذ **محمد حديفي** وضع دراسة في العدد ٤٣٤ من مجلة الموقف الأدبي للعام٢٠٠٧، كما عمل على إصدار كتاب الشهر لمجلة الموقف الأدبي وكان مقتطفات من شعر سلامة عبيد والكتاب برقم٤٨، وكتب الأستاذ محمد أيضا أعلام من سورية العدد ٥٥٤ من صحيفة الأسبوع.

❖ الأستاذ **لطفي عزام** كتب لمجلة «الظفرة » مقالاً جميلاً وفيه لقاء مع الأديب أثناء زيارته للإمارات.

❖ الأستاذ **إبراهيم العاقل** كتب مقالاً في مجلة الضحى اللبنانية وهو مقال قيّم ومدروس.

❖ الدكتور **صابر فلحوط** كتب مقالاً بعنوان: «الشاعر الذي هجر العرين ليستوطن الخلود» البعث9 /2006/3

وآخر بعنوان: سلامة عبيد.. منجم إبداع.. وجملة مناقب..«البعث «2007/4/22

❖ الدكتور **بديع حقي** كتب أكثر من مقال منها: «سلامة عبيد الشاعر والإنسان» البعث 1988/4/4.

❖ الدكتور **جورج جبور** كتب مقالة عن رواية أبو صابر (سبق ذكرها).

❖ مجلتا بناء الصين والصين المصورة وضعتا عنه أكثر من مقال.

❖ الأستاذ **سعيد أبو الحسن** كتب شعراً ونثراً ومن المقالات ما نشرته جريدة الثورة 1971/10/5 حول كتاب «الثورة السورية الكبرى»، إضافة إلى ما ورد في كتابه «نيران على القمم».

❖ الأستاذ **عيد معمر**: «سلامة عبيد كيف نقريك السلاما؟» جريدة تشرين

❖ الأستاذ **إسماعيل الملحم** كتب عدداً من المقالات وشارك في ندوات، من مقالاته في الأسبوع الأدبي 7نيسان 1994 قراءة نقدية لرواية «أبو صابر».

❖ الأستاذ **صياح الجهيم** كتب مقدمة لـ«ذكريات الطفولة» كما كتب عددا من المقالات منها:« في المثل الشعبي».

❖ مقالة طويلة للأستاذ **خالد هنيدي** لمجلة الحقيقة وللنشر على الإنترنت.

❖ الأستاذ **أكرم المغوش** نشر مقالات في صحف صادرة في أستراليا.

❖ الأستاذ **فيصل الجرف** كتب عدداً من المقالات بالإنكليزية لصحيفة Syria Times

❖ الأستاذ **نزيه الشوفي** كتب مقالة بعنوان: « في اللّه والغريب» يغني سلامة عبيد للوطن والتاريخ والإنسان تشرين 1997/10/29.

❖ الأستاذ **رياض طبرة** كتب مقالة عن الندوة التكريمية في صحيفة تشرين 2007/3/31

❖ هيئة التحرير في مدارات تشرين 8 نيسان 2006 «سلامة عبيد من أوائل من كتب المسرحية الشعرية بعد شوقي»

❖ الأستاذ **فيصل المصري** في الولايات المتحدة وضع ملفا على مدونته التي يتابعها مئات الألوف من الأشخاص وحقق الملف عددا قياسيا من المشاهدات.

❖ الشاعر **فؤاد كحل** كتب مقدمة للطبعة الثالثة من ديوان اللّه والغريب.

❖ كتب الشاعر الذي أطلق على نفسه اسم الشاعر المستتر :

إذا الشعراء أثملهم قديمٌ فإن جديدهم يبدي ابتسامةْ

كما فخرت تميمٌ في جريرٍ فقد فخرتْ عبيدٌ في سلامة

نشرت الصحف السورية والعربية عدداً كبيراً من المقالات، منها للكتاب والنقاد: **د. ناديا خوست، حسن م. يوسف، منهال الشوفي، معين العماطوري، عادل البعيني، نبيل طعمة** وغيرهم كثير.

الأديب وما نشره
في الصحف والمجلات

نشر الأديب قصائدَ وقصصاً ومقالات في عدد من الصحف والمجلات . منها مجلة «المضحك المبكي» مجلة «أسامة» للأطفال، مجلة الآداب، مجلة «المعرفة»، ومجلة «القيثارة» التي نشر فيها العديد من القصائد منذ عام 1946، و ربما تكون جريدة «الجبل» لمؤسسها الأستاذ نجيب حرب هي أكثر صحيفة نشرت عن الأديب وله ، وفيما يلي بعض ما نُشر:

نشر الأديب في الصحيفة: رحلة في جبل حوران على حلقات، ثم جمعت وطبعت في مكتب حرب للطباعة والنشر.

رحلات في الصفا واللجاه على حلقات / ريبورتاج مصور بقلم سلامة عبيد و**عدنان البني** الذي يحمل الدكتوراه في الآثار من السوربون.

مشاهدات وانطباعات من زيارته للعراق للمشاركة في مؤتمر حول تدريس التاريخ والجغرافية حلقات 1957.

صفحات من النضال الوطني وعن معركة الكفر.

إضافة إلى عدد كبير من القصائد.

كما كتبت الصحيفة الكثير عنه وخاصة عندما كان يفوز بالجوائز فقد ورد في الصحيفة :

الشاعر سلامة عبيد يفوز بالجائزة الأولى، لجنة نـشيد الجـيش تهنـئ الشاعر بفوز قصيدته، وقد جاء في الخبر: « وليست هي المرة الأولى التي يفوز فيها شاعرنا الملهم بمثل هـذه الجـائزة. فقـد سـبق لـه أن اشـترك في مسابقة وضعتها مجلة المستمع العربي وذلك عام 1943 فكـان الفـائز الأول بين عشرات الشعراء العرب الذين اشتركوا فيها»

ذكريات يرويها الأبناء

من مذكرات
ضحى سلامة عبيد[26]
قرط الزمرد

ناداني، ومد يده إلى الجيب الداخلي في بذلته السوداء، ثم أخرج علبة صغيرة مغلّفة بحرير أحمر، موشّى بمنمنمات ذهبية، أدهشني جمالها قبل أن أعرف ما فيها، ناولني إياها وهو يتطلع في عيني ويبتسم، فقد كان واثقاً من هديته، فتحت العلبة بحذر لأجد قرطاً من الزمرد الأخضر مزينا بحرفين ذهبيين متشابهين من اللغة الصينية، فرحي به كان مضاعفا لأنه مع جمال القرط شعور بالزهو، فهو لم ينس هديتي رغم مشاغله في التأليف والترجمة، ورغم ألم الساقين المتعبتين فقد قال لي يومها: تجولت في بكين يومين لأجده لك. تستحقين فنّا مميزا، فالحرفان المتشابهان يعنيان سعادة مزدوجة في البيت وفي العمل، أتمناها لك، ففي تقاليد الشعب الصيني يعلّق هذا الرمز على باب العروس أو ثوبها، وفي لحظات مختلسة تخيّلت نفسي عروساً، رقصتُ فوق بلاط غرفتنا القديم كأني أرقص فوق بلاط قصر ملكي، وأميل برأسي لأتمتع بجمال القرط أمام المرآة..

رقصت إلا أن الموسيقا توقفت مع صوت أمي المذعور: نفذ المكتوب، جبين أبيك بارد!!

رحل أبي ليلة وصل، وهداياه لما تزل تغفو في حقيبته، وغفا قرطي في علبته.

خبّأته عشر سنوات ولم أتزين بـه حتـى في زفـافي فهـو يحمـل آخـر ابتسامة لأبي وأخشى أن تضيع!

فما الذي جعلني بعد هذي السنين أخرجـه وأثبـت البرغـي في حـذر بأذني وأمضي إلى زيارة أثار فيها القرط أسئلة، ومعها اشتعلت ذكريات مرة، حلوة، فعاد لي خوفي من فقدانه فأعدته إلى حقيبتي.

لكن!

لكن قدراً أحمـق مـرَّ عـلى صـورة نـذل اختطـف الحقيبـة ودسـها في سترته الجلدية السوداء وغاب في الزحام!

حاولت أن أجري خلفه، لكن كمثل الذي يـركض في كوابيـسه. أركـض في مكاني !، ولا صوت لي فقد خنقه القهر والمفاجأة!

يـوجعني حـين أفكـر هـل رمـى القـرط!؟ هـل أهـداه لامـرأة!؟ ربمـا أصادفه، وكثيرا ما رأيت القرط يعود إليّ في أحلامي رغم مرور سبعة عشر عاماً!

ذات عصر أخـذت أقلّـب دفـتر أيـامي وصـوري رحلـة عمـلي وصـور عائلتي، حينها شعرت في أعماقي بأني وإن فقدت القـرط فـإن كـل صـوت دافئ، وكل ابتـسامة حـب تجـيء إلي، فهـي تحمـل إلي مـن روح الحـرفين المتشابهين توائم...توائم.

أجمل ابتسامة لرجل

مصادفة التقيته فابتسم..

مضت خمسة وعشرون عاماً وبلحظة استعدت ابتسامته وكيف أني كنت أشعر بالضيق حين لا يطل من أول الحارة أما حين يقبل يرقص قلبي فأقفز للقياه درجة ثم درجتين ويصبح العالم كله بين يدي.

رسالة تقول أني الجميلة وفيها من الوعود والحب في ورقة موشاة برسوم الأزهار أو طفل يغفو على يقطينة.

أعيد قراءة الرسالة مرات كصلاة.. وربما يمكنني أن أصف تلك الابتسامة التي كنت أراها أجمل ابتسامة لرجل..

شفتان رقيقتان تفتران عن أسنان شبه متراكبة، وسنّين فضيتين. في ربيع أحد الأعوام تخلّت عني ابتسامته فبكيت وبكت معي درجات بيتنا الحجرية.

حين التقيته اليوم ومد يده مصافحاً، لكَم تمنيت لو أعطاني رسالة ربما يكون قد نسيها في إحدى طبقات حقيبته البريدية رسالة من الصين، رسالة لي من أبي.

شالي الحرير..

وتلفتتْ تبحث عنه بذعر من ضيع طفله...

كانت الحارة ضيقة، والشارع معتماً، لا كهرباء أبداً ولا أي ضوء.. إلاّ أضواء السيارات البعيدة!... نظرت إلى الرصيف، إلى السور، حتى إلى الأشجار لعله علق هناك، مع أن الريح كانت ساكنة!

وأمامها تجلّى طيف من أهداها الشال، ورأت عروق اليد التي امتدت تقدمه إليها وسمعت الصوت الذي اعتذر عن هدية كان يتمنى لو كانت أثمن!!

من بعيد كان خيال امرأة تسير مسرعة...لم تعرف القوة الخفية التي دفعتها لأن تلحق بها، اجتازت الشارع بغير انتباه غير عابئة بشتائم السائقين. أو سلامتها.. فلا تريد أن تضيع ذاك الخيال..

دخلت المرأة بقالية مضاءة بمولد. فدخلت خلفها. ثم تجاوزتها... وتأملتها... فرأت في العينين المتهربتين من نظرتها شيئاً يدل على أن الشال معها.. لم تدر صاحبة الشال وهي الهشة تماماً، كيف سألتها بصوت ربما كان متوسلاً، أو مهدداً.... شالي الحرير الصغير هل هو معك؟!

لم تصدق، حين مدت المرأة يدها إلى حقيبتها، وأخرجته معتذرة أنها وجدته على الرصيف..

ضمت شالها بلهفة من التقى مسافراً قد عاد.. وأسقطت دمعة فوقه؛ لأن من أهداها إياه قد دفع ثمنه غربة قاسية وموتاً مبكراً.

عادت مسرعة بثقة كأن روح من أهداها الشال قد أضاءت الشارع بعشرات المصابيح!!

٢٠٠٧ كنت أحضر معرضاً للفنان فؤاد أبو سعده في دمشق. حين رآني أركض في العتمة.. قال لي: كنت أهديتك لوحة من لوحاتي بدلاً منه.. واختاري أي واحدة.... أجبته: آسفة... المعرض كله لا يحمل ملح أصابع أبي على هذا الشال...فشكراً لعرضك الكريم.

من مذكرات سلمى عبيد[27]
زوّار الليل..

كانت ليلة وحشيّة عاصفة، فاجأتنا قبل موعدها بكثير.. وعبثًا كنّا نحاول أن ننام.. أصوات رعد.. صفير رياح.. وسطوح توتياء تتخبّط بجنون.. والزمهرير الجليديّ يغزونا ويكتسح أعماق عظامنا، مخترقًا الأغطية التي كدّستها الوالدة فوق أجسادنا الهزيلة، ومتحدّيًا باستخفاف قطرات المازوت المتساقطة ببطء شديد، في مدفأة صغيرة مقرورة، تصرخ مستنجدة بمن يدفئها!

سمعنا صوت توقّف سيّارة.. وطرقوا الباب..

نظرت والدتي إلى الساعة وتمتمت: «اللهم اجعله خير..». وكانت تدرك في أعماقها، أنّ طارقًا في مثل هذه الساعة، وفي هذا الجوّ ليس «بابا نويل!».. باب الغرفة التي ننام فيها ينفتح مباشرة إلى الخارج، فتح والدي الباب، واكتسحتنا العاصفة بأصواتها.. بزمهريرها.. بأمطارها.. وبأشباح ثلاثة بدت كأنّها فقمات قطبيّة حملتها العاصفة.. عرّفوا بأنفسهم، واستأذنوا بالدخول..

تبادل والدي ووالدتي النظرات.. أين يستقبلانهم والمضافة تستضيف العاصفة! نقلتنا والدتي بسرعة البرق إلى السرير الوحيد في الغرفة، وأصبح مكاننا جاهزًا لاستقبال الضيوف.. اندلقوا على الفرش حول المدفأة، وجلس والدي قبالتهم، بينما ذهبت الوالدة في محاولة لإيقاد المدفأة، وتحضير المضافة للضيوف.. كانت حاملًا في شهورها الأخيرة، وحركتها أصبحت متعبة ومؤلمة، لكنّها تحاملت على نفسها، فمسحت المياه التي تسرّبت من شقوق الباب والشبابيك، وبدأت محاولاتها العنيدة لإيقاد نار المدفأة. ازرقّت

يداها، وتجمّدت قدماها من الوقوف في صقيع الغرفة، إلى أن ارتفعت ألسنة اللهيب، وتراقصت على أنغام الرياح المجنونة.. استدارت عائدة عندما سمعت صوتًا كأنّه انفجار قنبلة.. نظرت وشاهدت الدخان يملأ المضافة، وقطعًا من سخام أسود تسبح في الهواء، ثم تستقرّ على الفرش، وعلى الأرض، وعلى كتب وأوراق الأستاذ.. شعرت بالتطيّر والتشاؤم، وتمتمت:

- اللّه يجيرنا من شرّ هالليلة..

ذهبت لتحضر أدوات التنظيف، قبل أن يلتصق السخام بالفرش، ويصبح تنظيفه مستحيلًا.. عادت إلينا مرتجفة، مزرقّة من البرد، تسعل من الدخان، والسخام الذي عشّش في منخريها ورئتيها، وقالت لوالدي:

- الصوبيا مش عبتشعل، فقعت وتلّت المضافة شحوار..

جلست الوالدة على كرسيّ صغير، في أبعد زاوية، تفرك يديها، لتبعث فيهما بعض الدفء، فتستطيع أن تمسك الإبرة، وتكمل تطريز مفرش الطاولة الذي كانت توشوشه ذكريات السطيحة في عين عنوب، بزنابقها وورودها، وجلسات السمر تحت عريشتها، ربّما تنجح تلك الألوان بأن تمسح صورة السخام الأسود الذي رافق حضور زوّار الليل..

تكوّرتُ على نفسي، وغطّيتُ رأسي باللحاف، محاولة أن أحتمي من ضجيج العاصفة الصاخب.. ومن البرد.. ومن ذلك القلق الغامض الذي تسلّل مع زوّار الليل.. تلصّصت عليهم من تحت اللحاف بفضول.. شاهدتهم يوزّعون الابتسامات والاعتذارات بسخاء كبير.. نظروا حولهم إلى الغرفة الصغيرة ذات السرير الوحيد، وإلى خزانة من درفتين، كان واضحاً أنّها تضمّ كلّ ملابس الأسرة وممتلكاتها.. خُيّل إليهم أنّ مهمّتهم سهلة.. الأستاذ

سيقبل بأيّ مبلغ ليتخلّص من هذه الفاقة، والزوجة الحامل التي ترتدي ثوبًا صيفيًّا في عزّ البرد، ستكون «واقعيّة»، وتسهّل لهم مهمّتهم..

- سمعنا عنكم كتير.. عن نضالكم ونضال والدكم.. عن ثقافتكم.. عن مواهبكم الأدبيّة.. والرئيس بيقدّركم وبيشرفه إنّو يتعاون مع النخبة الوطنيّة الواعية من أمثالكم..

توجّهوا بكلامهم إلى الوالدة:

- إن شاء الله تقومي بالسلامي يا مدام.. ما تواخزينا عزّبناكي.. عم تشتغلي إنتي يا مدام، ما عندك خدّامي؟

كانوا يقومون بالمهمّة باحترافيّة شديدة.. المديح أوّلًا.. ثمّ الإغراء بأيّ مركز، أو وظيفة يختارها الأستاذ.. ثمّ «الجوائز النقديّة» التي يوزّعها الرئيس، من خزينة الدولة بسخاء شديد، وهناك.. المزيد..

«الرئيس» لم يُسند لهم المهمّة عبثًا.. كان لهم مكر ثعلب.. ونعومة ثعبان.. وفصاحة خطيب.. عبثًا جرّبوا كلّ ما في جعبتهم من أحابيل.. استنجدوا بالوالدة.. أغروها بالقصور، والخدم، والمجوهرات، وبحياة رغيدة لأطفالها..

الأستاذ يريد حرّيّة، وعدالة، وحياة كريمة، ليس له فقط ولكن لكلّ الذين جاهدوا، وضحّوا من أجل هذا الوطن.. والضيوف كانوا وكلاء مكاتب سمسرة، يبيعون ويشترون مواقفَ وألسنة وضمائر، بشيكات دسمة، تموّلها خزينة الدولة، أمّا الشعب، فمتى كان للشعب أهميّة في مكاتب السمسرة؟

جلس الضيوف الثلاثة متلاصقين على أحد الفرش، وجلس والدي على الفراش المقابل.. وكان واضحًا أنّ الفراشين يُشكّلان خطّين متوازيين، لا يلتقيان..

- بتعرف كم واحد بيتمنّى لو كان محلّك اليوم..؟ إيستاز مالـك عليّـي يمين «فلان» طلب بلسانو ستّين ألف ليرة، ومستعدّ يعمل شو ما منطلب منّو وأكتر.. ونحنا ما عمّ نطلب منّك إلاّ تقول إنّك بتأيّد الرئيس..

سكت والتقط أنفاسه للضربة التي كان يظنّهـا قاضـية، وتـابع بتمهّـل شديد:

- منعطيك شيك على بياض.. بتحطّ عليه الرقم يـلّي بتريـدو.. بالعملـة يلّي بتريدا.. بالبلد يلّي بدّك ياه..

وقف والدي إيذانًا بإنهاء الزيارة.. بدا عملاقًا برأس مرفـوع.. وكـانوا مندلقين عند قدميه.. فقمات رخوة دبقة..

تحوّلت الفقـمات الدبقـة إلى ضـباع اشـتمّت رائحـة الـدم.. واكتـست الوجوه بلؤم شيطانيّ.. وقالوا مهدّدين:

- بتعرف شو يعني إنّك تتحدّى الـرئيس؟.. إنـت فيـك تتحمّـل غـضبو؟ عندك زوجة وأطفال..

- قولوا لرئيسكن سلامة عبيد مش للبيع.. والتهديدات ما بتخوّفني.. خرجوا.. أداروا محرّك سيّارتهم بنزق.. وغابوا في سواد العاصفة..

❖ ❖ ❖

في تلك الليلة راقبت الطفلة والدها وهو يُخرج دفترًا وقلمًا، ويكتب:

لا، لن أكونْ...

إحسان عبيد
كبسة المدير

ذات يوم قال الطلاب: جاء مدير التربية باكراً إلى الإدارة.. وهو بالداخل.. رن الجرس على الساعة 8 ووقفنا بالطابور.... جاء طالب متأخر يبدو فقير الحال.. شعر لحيته وشاربيه نابت بشكل واضح، يلبس شنتاناً أسود قصيراً وحذاءً من الكاوتشوك على شكل قارب بدون جرابات (كان هذا الموديل دارجاً)، وقميصاً مرقوعاً من الكوعين، وصدرية صيفية بلا أكمام في صقيع صلخد القارس اللاسع.. قال مدير المدرسة للطالب: ابقَ محلك.. ليبدو أمام مدير التربية أنه لا يتساهل بالضبط والربط مع الطلاب المتأخرين.. نظر الأستاذ سلامه إلى الطالب.. ناداه وقال للطلاب: ادخلوا.. واعتقد الجميع أن مدير التربية هو من سيتولى قصاص الطالب.. لأن عادة الضرب كانت شائعة في جميع المدارس.. عند أول فرصة شاهد طلاب المدرسة الطالب المتأخر يلبس معطفاً جديداً.. سُئِل من أين هذا؟ قال: مدير التربية أعطاني معطفه..

رسالة من أحد طلابه
فاروق هجرت

وصلتني هذه الرسالة على المسنجر من الأستاذ فاروق هجرت الذي كان أحد طلاب الأديب قبل خمسة وستين عاما

«..... عندما قرأت اسمك في منشور على الفيسبوك ، عادت بي الذكرى إلى حمص وإلى العام الدراسي - 1953- 1954 حيث كان والدك أستاذي لمادة التاريخ في الصف الثامن في تجهيز البنين الثالثة أذكر في ذلك الوقت أنشد والدك الكبير قصيدة يقول فيها

من دمانا أيها السفاح

من دمع اليتامى والأيامى

أترع الكأس مداما

مضت الأيام وفي يوم صيفي في عهد الوحدة مع مصر كنت أركب باص الشيخ محي الدين، (وأشدّد على تواضع وإنسانية والدك العظيم، لم تحل عضويته في مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة حينذاك بينه وبين ركوب الباص في تنقلاته) إذ بالسيد الوالد يبادرني بالسلام ويسألني عن أحوالي، أجبته بأني طالب بكلية التجارة بجامعة الإسكندرية وسألني إن كنت بحاجة لأي مساعدة وأخبرني بأنه عضو في مجلس الأمة ومقره القاهرة. شكرته مُكبِرا به ذاكرته الفذة، إذ لا زال يذكر شخصا كان أحد تلاميذه من ست سنوات ومقدرا له إنسانيته التي اشتهر بها.

اعذريني سيدتي إذا اقتحمت صفحتك ولكن كان لا بد وأن أذكر لك بالذات ما عرفته شخصياً من مآثر هذا الإنسان العظيم.

رحمه الله وهو وإن غادرنا، فذكره سيبقى يلهج به كل من عرفه شخصيا أو مما ترك من آثار شعرية ومؤلفات يحق لك أن تفخري به وبها. . مع عظيم تقديري لذكراه.»

بوست من طالب آخر
سعيد أبو صعب

كتب الأستاذ سعيد منشورا ، أقتطف منه هذه الأسطر

«....أمّا من كان له الفضل الأكبر، والذي أثّر على مجرى حياتي فهو المربي الكبير والأستاذ الفاضل سلامة علي عبيد، الذي كان مديراً للمدرسة الثانوية الوحيدة في المحافظة، وتضم المرحلتين الثانوية والمتوسطة، فعندما كنت في الصف التاسع منحني إذنا دائما للتغيب بعد ظهر يوم الأربعاء ويوم الخميس من كل أسبوع لأتمكن من زراعة أرضنا عندما طلبت منه ذلك وأخبرته أن والدي أُصيب بمرض عضال أقعده عن العمل، وكان الزرع وقتها حراثة على الفدان، كما قام بمنحي نسخة كاملة من كتب الصف التاسع وفوقها مبلغ خمس ليرات عندما كان غرام الذهب بثلاث ليرات. احسبوها الآن وسعر الغرام ثمانية عشر ألف ليرة.

لن أنسى هذا الفضل الذي كان سبباً رئيسياً لاستمراري بالتحصيل والتعلم، أسأل الله أن يوفيه عني بمنزلة عالية في جنة النعيم.»

(كتب الأستاذ سعيد هذا البوست بعد أن أصبح في الثمانين، وقد نجح في إكمال دراسته وأصبح أستاذاً جامعياً، درّس في كلية الآداب ودار المعلمين).

الصفحة الأخيرة

يا صديقي، هذه الصفحة أطويها فأطوي بعض عمري
وأخبيّ في زواياها شباباً كان يغري
مر عجلانَ، على حلوٍ من العيش ومر

❖ ❖ ❖

لم يخلِّفْ غيرَ ما أملاه روحي وفؤادي
غَضَباتٍ لبني قومي وتيهاً ببلادي
واشتياقاً لبواديها و سمارِ النوادي

❖ ❖ ❖

وإذا مال على أوتار أحلامي وحبي
وتغنى بأناشيد الربيع المستحب
فهي من ترديد أنفاسي ومن دقات قلبي
يا صديقي

السويداء 1945

فهرس ببعض الأسماء
الواردة في الكتاب:

أكرم زعيتر: ولد في نابلس عام 1909، درس في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم التحق بكلية الحقوق في القدس، عام 1945 عمل في سوريا مستشارا للرئيس شكري القوتلي، عام 1949 كان وزيرا للمعارف في حكومة فلسطين، بعدها تنقل سفيرا للأردن بين عدد من الدول العربية والأجنبية. عرف مناضلاً وطنياً ومثقفاً وله عدد من المؤلفات المطبوعة و المخطوطة.

بديع حقي: يحمل شهادة الدكتوراه في الحقوق، عمل في السلك الديبلوماسي لمدة أربعين عاما. له عدد من المؤلفات في الرواية والشعر والسيرة الذاتية.

توفيق عبيد: محامٍ وأديب يمتلك مكتبة عامرة، وأرشيفا كبيراً عمّا كتب وقيل عن سلامة عبيد، كتب عدداً كبيراً من المقالات في صحف ومجلات سورية وعربية، كما أنه من الشخصيات البارزة في الأنشطة الثقافية والاجتماعية.. جمعته بالأديب الراحل صداقة وطيدة ومميزة.

ثائر زين الدين: دكتوراه في الهندسة الميكانيكية له عدد كبير من المؤلفات وخاصة في الشعر والترجمة والنقد الأدبي، حاصل على عدة جوائز، وهو يشغل حاليا منصب إدارة الهيئة السورية العامة للكتاب.

جميل حسن: شاعر وباحث وناقد صدر له «قراءات في الشعر السوري الحديث» عن اتحاد الكتاب العرب عام 2009 وهو من أربعة أجزاء.

جورج جبور: دكتور في العلاقات الدولية. درّس في جامعتي دمشق وحلب، كما حاضر في عدد من الجامعات المعروفة مثل أكسفورد وكامبريدج وهارفارد. تولى منصباً هاما في الأمم المتحدة، بعدها عمل مستشاراً لرئاسة مجلس الوزراء ولرئيس الجمهورية.

حامد حسن: شاعر وأديب سوري من الدريكيش، له عشرة مؤلفات في المسرح والشعر والنقد والدراسات، إضافة إلى عدد كبير من المقالات، أشرف على مجلتي أسامة والمعرفة.

حسان أبو عياش فنان ومهندس ديكور معروف تميز بعمل ديكورات رائعة لأهم المسلسلات التاريخية والاجتماعية، كما صمم مجموعة من الطوابع التذكارية. قام برسم أغلفة كتب: الثورة السورية الكبرى، أبو صابر، وربابة الثورة، إضافة إلى وضع رسوم في مجلة أسامة لعدد من قصص سلامة عبيد.

حمد الرجيب: وزير سابق وسفير سابق، سمي برائد الحركة المسرحية في الكويت، كان متعدد المواهب والاهتمامات: كتابة، إخراج، تمثيل، تلحين. جمع بين الفن والأدب والسياسة والعمل الاجتماعي. وهناك فيلم وثائقي عنه تقديراً لجهوده وتنوع مواهبه..

دياب قديد: الدكتور دياب قديد من الجزائر أكاديمي، مثقف، أديب، يعمل في جامعة قسنطينة، شارك بالعديد من المؤتمرات والندوات ومنها الندوة عن الأديب سلامة عبيد عام 2007.

رضوان قضماني: دكتوراه في اللسانيات العامة. عمل في التعليم والصحافة والتدريس الجامعي له عدد من المؤلفات المتعددة الموضوعات. شغل منصب عميد لكلية الآداب في جامعة البعث في حمص. عضو جمعية البحوث والدراسات، عضو اتحاد الكتاب العرب، واتحاد الصحفيين.

حسن حميد: كاتب قصة ورواية من فلسطين يعيش في سورية، يحمل إجازة في الفلسفة وعلم الاجتماع من جامعة دمشق ودبلومين عاليين، وإجازة في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية. عمل رئيسا لتحرير جريدة «الأسبوع الأدبي». له عدد من المؤلفات التي تُرجمت إلى عدة لغات منها الصينية.

رياض هاني رعد: ماجستير فنون إخراج سينمائي من رومانيا 1981، مخرج في التلفزيون العربي السوري له العديد من الأعمال الدرامية والوثائقية منها «عناد السنديان» عن الأديب سلامة عبيد. عمل في اتحاد إذاعات الدول العربية في تونس مسؤول برامج تلفزيونية، ومدير التدريب في المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني بدمشق..

سالم المعوش: الدكتور سالم المعوش يدرّس في الجامعة اللبنانية ، وهو أديب وناقد لبناني له عدة مؤلفات منها : إيليا أبو ماضي ، بدر شاكر السياب ، ومخاطر الهيمنة الثقافية.

سلطان سعد القحطاني :أديب وناقد وأستاذ جامعي وإعلامي سعودي يحمل الدكتوراه من جامعة جلاسكو في اسكوتلاندا ، شارك في الندوة التكريمية وأعد برنامجا إذاعيا عن الأديب.

سلمى عبيد: ماجستير بدرجة امتياز من جامعة تكساس في الولايات المتحدة، تدريس في: أرامكو، جامعة دمشق، جامعة الإمارات، كليات التقنية العليا في دبي، إنشاء مركز للدورات التعليمية في السويداء كان الأول في المحافظة، صدر لها كتاب سيرة ذاتية بعنوان «هنا كانوا»، وقيد الطبع: «نوافذ على فضاء أزرق» إضافة إلى كتابين بالإنكليزية للأطفال، وترجمات لقصص أطفال، وترجمة لكتاب علمي مع تأليف مجموعة أغان للأطفال.

سعيد ابو الحسن: أديب كتب في العديد من الصحف والمجلات في سورية ولبنان منذ الأربعينيات، وهو حقوقي عمل محاميا ثم تولى وظائف إدارية رفيعة...جمعته بالأديب صداقة حميمة.

سمر روحي الفيصل: ناقد أدبي من حمص، عمل في التدريس الجامعي والصحافة الأدبية داخل القطر وخارجه. له واحد وثلاثون كتاباً في الأدب والنقد الأدبي.

سميحة خريس: أديبة أردنية معروفة وضعت عدداً من الكتب والروايات الناجحة، شاركت في الندوة التكريمية عام 2007 وكتبت عن سلامة عبيد وعن السويداء بإعجاب وحب في كتابها «على جناح الطير».

صابر فلحوط: شاعر ودكتور في العلوم السياسية، عمل مستشارا ثقافيا، ثم رئيسا لتحرير جريدة البعث، ثم مديرا عاما لوكالة سانا ورئيسا لاتحاد الصحفيين. له عدد من المؤلفات بينها دواوين شعرية.

صالح زهر الدين: الدكتور صالح زهر الدين هو باحث ومؤرخ وأستاذ للتاريخ في الجامعة اللبنانية. حاز وسام الاستحقاق الوطني للجمهورية اللبنانية عام 2003. له عدد من الكتب والموسوعات الهامة منها: «رجالات من بلاد العرب» و«موسوعة الأمن والاستخبارات في العالم».

صلاح مزهر: من الرعيل الأول من مثقفي محافظة السويداء تركز اهتمامه على التاريخ وكتب في عدد من المجلات والصحف، كان صديقاً مميزاً للأديب سلامة عبيد.

صياح الجهيم: مدرس لغة عربية من السويداء، وهو ناقد ومترجم. قام بترجمة عدد من الكتب الهامة، كما كتب في المجلات والصحف.

ضحى سلامة عبيد: بعد تخرجها من قسم اللغة العربية في الجامعة مارست التدريس في ثانويات السويداء، كما أنها قامت بتدريس اللغة العربية في جامعة بكين. تكتب بإحساس صادق وموهبة عالية. موهوبة في الرسم وقد أدرجت إحدى رسوماتها في ملحق الصور. غير أنها مقلّة في الكتابة والرسم. شاركت في الندوتين التكريميتين عام 2002 و2007، وفي غيرها من الأنشطة الثقافية عن الأديب.

عادل سلمان عبيد: سُمّي عادل على اسم الأمير عادل أرسلان، وكانت جدته تصرُّ على تسميته رشيد، ابنها الشهيد الذي مات تحت التعذيب والسم، عادل عبيد كان أيضا للسيف والقلم، وقد آمن بالقضية الفلسطينية وشارك في النضال من خلال أعمال فدائية بطولية، وقد قدمت الجبهة الشعبية الديموقراطية درعا لعائلته عند حضور وفد منها للتعزية بوفاته. اهتم بالمسرح وآمن بدوره في التوعية، وأخرج عددا من المسرحيات. كتب الشعر، وشعره يعكس عمقا في الفكرة، وإحساساً صادقاً ومرهفاً، توفي.....(بالسكتة القلبية).

عارف النكدي: مناضل لعب دوراً هاماً في النضال ضد الفرنسيين وتعرض للسجن عدة مرات. عمل قاضياً ومحافظاً في سورية، وكانت له أيد بيضاء من خلال إنشاء بيت اليتيم في السويداء، سورية، وبيت اليتيم في عبيه لبنان، والذي يستوعب حوالي 2000 طفل. تبرع بقطعة أرض كان يملكها لإنشاء المدرسة الداوودية. تبنّى كتاب «الثورة السورية الكبرى» لاقتناعه بأهميته الكبيرة وتكفل بمصاريف طباعته.

عبد الحسين معتوق صكر: كاتب وأكاديمي عراقي له مؤلفات منها: الظواهر اللغوية في الأمثال العربية 1997.

عبد الكريم الأشتر: أديب وناقد وأكاديمي سوري من مواليد حلب يحمل دكتوراه في الأدب العربي، درّس في جامعات سورية وفي الإمارات، وله حوالي 30 مؤلفا قيما تعتبر مراجع في الأدب العربي، وقد نال على مؤلفاته عدداً من الجوائز الرفيعة.

عبد الرحمن البيطار: هو أول من حصل على الدكتوراه في التاريخ من حمص، عمل مدرساً في قسم التاريخ. اشترك فيما لا يقل عن أربعين مؤتمراً تاريخياً داخل وخارج سورية، لديه عدد من الكتب المطبوعة في التاريخ. ساهم في إقامة خمسة مؤتمرات دولية علمية تاريخية.

عبد المجيد التجّار: كان عميداً في الجيش، وحقوقياً، وشاعراً. تعرف بالأديب عندما عُيّن محافظا للسويداء، وقد توطّدت الصداقة بينهما. في ديوانه الجميل والأنيق أدرج قصيدة رثاء للأديب سلامة عبيد وعدداً من القصائد التي يعبر فيها عن حبه للسويداء وأبنائها.

عبد المعين ملوحي: أديب وشاعر له عدد من المؤلفات التي تتنوع بين الدراسات الأدبية، والشعر، والترجمات، والتاريخ. عمل مديرا للتراث العربي، مديراً للمراكز الثقافية والمكتبات، مستشاراً ثقافياً في القصر الجمهوري، أستاذ شرف في جامعة بكين. جمعته بالأديب سلامة عبيد صداقة متينة قبل سفرهما إلى الصين، توطدت أكثر عندما درّسا في جامعة بكين.

(وضعت في ملحق الصور صورة للأديبين في قصر الإمبراطور الصيفي).

عدنان البني: دكتوراه دولة في التاريخ من لبنان، ودكتوراه دولة في الآثار من جامعة السوربون في باريس. عمل مديراً للتنقيب والدراسات الأثرية في المديرية العامة للآثار والمتاحف 1954/ 1996 .. هو عضو فعال في عدد من الجمعيات العالمية المهتمة بالآثار، كما أنه عضو تحرير في أكثر من مجلة تاريخية.

عز الدين ميهوبي: أديب وكاتب وشاعر، تولّى منصب وزير الثقافة في الحكومة الجزائرية، كما تولى عضوية المكتب التنفيذي لمؤسسة البابطين، رئاسة الاتحاد العام للأدباء العرب، الإدارة العامة للإذاعة الجزائرية، ورئاسة المجلس الأعلى للغة العربية.

علي حسين عبيد: والد الأديب، درس في لبنان ما يمكن أن يسمّى اليوم «قانوناً واقتصاداً» شغل وظيفة مدير زراعة، وقاضٍ مدني، جاهد بالمال والولد والسلاح والقلم أثناء الثورة السورية الكبرى، وكان أحد أركان الثورة. كتب عنه **المناضل الفلسطيني المعروف أكرم زعيتر**: «وما رأيته ورأيت نضرة الجهاد في صباحة وجهه، وجمال الصبر ورزانة العقل إلا حسبتني أمام صحابي من أولي العزم الذين أنبتتهم الجزيرة وتتلمذوا لأبي القاسم(ص)، وجعل منهم الإيمان عباقرة رجولة وبطولة..»

عمر الدقاق: كاتب وأكاديمي وباحث من جيل الرواد، يحمل الدكتوراه في الأدب الحديث، له ما يقارب الأربعين كتابا، تولّى عمادة كلية الآداب في جامعة حلب لمدة عشر سنوات، كما ترأس قسم اللغة العربية في جامعة قطر.

عيسى عصفور: حقوقي درس في دمشق وفرنسا، عمل قاضياً فكان نزيهاً شجاعاً نظيف اليد، كما كان شاعراً موهوباً، جمعته بالأديب صداقة نادرة منذ الطفولة وجاءت قصيدته في رثائه لتعكس مشاعره الصادقة.

عيسى فتوح: ولد في مشتى الحلو ، عمل مدرساً ومحرراً أدبياً في عدد من المجلات داخل سورية وخارجها، تجاوزت أعماله المطبوعة اثني عشر كتاباً، بعضها في النقد، وبعضها في الترجمة، وبعضها للأطفال، من كتبه: «من أعلام الأدب العربي الحديث».

غازية حمزة: شاعرة موهوبة ومرهفة الإحساس ومربية فاضلة وناجحة عملت بالتعليم والإدارة. لها أعمال شعرية لم تُطبع بعد، يمكن قراءة بعضها على الجوجل، وقد وضعت مجلة المعرفة مقالة عنها في العام الماضي.

غسان الحسن: يحمل الدكتوراه في الشعر النبطي يصفونه بأنه «منقب في ركام الشعر النبطي الحديث» له محاولاته الرائدة في تأسيسه لمدرسة نقدية للشعر النبطي كما له دراسات موسّعة تصل إحداها إلى 1200 صفحة، إضافة إلى 24 كتاباً في مجالات الشعر النبطي.

فيصل الجرف: كاتب ومترجم وإعلامي يكتب بالإنكليزية في صحيفة Syria Times نشر بالإنكليزية عدة مقالات عن الأديب شملت حياته وذكريات الطفولة وشعره، كما قام بترجمة بعض من أعماله إلى الإنكليزية.

فيصل حصيد: أكاديمي وأديب جزائري معروف يحمل الدكتوراه في الأدب العربي، عمل في التدريس الجامعي وفي مناصب إدارية رفيعة. شارك في الندوة التكريمية 2007.

فوزي معروف: كاتب وباحث من السويداء وضع عددا من المؤلفات منها: «هكذا يصنعون أنفسهم»، «المرأة والمثل الشعبي»، «سعيد أبو الحسن»، إضافة إلى كتاب «سلامة عبيد، الأديب الانسان»، كتب في المجلات والصحف، وشارك في ندوات أدبية وثقافية. ونال عدة جوائز محلية وعربية.

مارون عبود: أديب وناقد لبناني معروف كان مدرساً للغة العربية في عاليه، لبنان. اكتشف موهبة تلميذه سلامة عبيد ورعاها، وعند صدور ديوان «لهيب وطيب» كتب مقدمة جميلة للكتاب.

مدحة عكاش: ابن مدينة حماه، محامٍ ومدرس لغة عربية، توجه إلى الصحافة وأنشأ مجلة الثقافة الشهرية عام 1958 كما أنشأ مجلة الثقافة الأسبوعية، عمل كذلك مديرا لدار الثقافة للنشر. ناضل ضد المستعمر الفرنسي قولاً وفعلاً، له عدة أعمال مطبوعة وتكريماً له صدر له طابع تذكاري.

محمد حديفي: شاعر وكاتب من محافظة السويداء عمل مدرساً ثم انتقل للعمل في وزارة الإعلام وتسلم منصب مدير الرقابة لمدة عشرين عاماً، أوفد للكويت مديراً لوكالة الأنباء وملحقاً إعلامياً بالسفارة. كما عمل مديراً لمجلة الفكر السياسي ورئيساً لتحرير صحيفة الأسبوع الأدبي ومازال على رأس عمله حتى الآن. صدر له سبعة دواوين شعرية مطبوعة، إضافة إلى عدد من الكتب في موضوعات متنوعة أخرى. له حضور متميز في المجال الثقافي من خلال كتابة المقالات والمشاركة في الندوات والأمسيات الشعرية واللقاءات الإعلامية الثقافية.

محمد طربيه: مثقف، باحث وناقد من محافظة السويداء صدر له مجموعة من الكتب المتنوعة المواضيع، كما أنه يشارك بشكل فعّال في

الحركة الثقافية في المحافظة من ندوات ومحاضرات وجمعيات تاريخية وأدبية. خصص عشرين صفحة من كتابه «تاريخ ومؤرخون» لسلامة عبيد وكتاب الثورة السورية الكبرى. كما قدم دراسة عن ديوان لهيب وطيب في كتابه «نعمة النقد».

محمود الجغامي: من أوائل المدرسين في السويداء، تمكّن من إكمال دراسته العالية رغم الظروف المادية العصيبة التي كانت تمر بها المحافظة، هو من مجموعة الأصدقاء التي كانت تجتمع لتدارس أوضاع المحافظة والعمل على تذليل الصعاب التي تواجه أبناءها.

ناصر سلامة عبيد: دراسات عليا في العمارة الداخلية.. محاضر في كليات الفنون الجميلة.. فنان تشكيلي وصاحب صالة منتدى الفن «الآرت فورم» في السويداء...

نايف علي عبيد: شقيق الأديب يحمل الدكتوراه في العلوم السياسية، عمل مستشارا للشيخ زايد في الإمارات، له عدة كتب مطبوعة والكثير من المقالات والندوات، إضافة إلى كتابته للشعر. يوجد له موقع على النت والكثير من المعلومات عنه في الجوجل.

نجيب حرب: كان أول من مارس مهنة الصحافة في المحافظة متحديا كل الصعوبات، بدأ بمكتب الصحافة العربية عام 1932، بعدها أصدر جريدة الجبل في السويداء ثم نقلها إلى دمشق. كانت جريدة الجبل صلة الوصل بين المغتربين والوطن الأم، كما وثقت الأحداث اليومية، وشجعت المواهب الأدبية، إضافة إلى الجريدة أنشأ الأستاذ نجيب «مكتب حرب للطباعة والنشر» الذي صدر عنه كتاب «جبل حوران » للأديب سلامة عبيد.

نعمان حرب: مثقف وكاتب يمتلك مكتبة تضم مجموعة كبيرة من المؤلفات المتنوعة الموضوعات، وضع عددا كبيرا من الكتيّبات حول أبطال منسيين قدموا الكثير للوطن أثناء الثورة السورية الكبرى، مخصصاً كتيّباً عن كل مجاهد بطل.. كما كتب عن أدب المهجر.. وقد قام بطباعتها بتمويل ذاتي وأهدى نسخا من هذه الكتب لمكتبات العديد من المدارس.

نقولا زيادة: الدكتور زيادة هو مؤرخ وأكاديمي معروف، كان مدرّسا في الجامعة الأميركية، وجمعته بتلميذه سلامة عبيد صداقة عميقة. حاول إقناع سلامة عبيد بالتدريس في الجامعة الأميركية، ولكنه فضل العودة إلى السويداء، بلدته التي تحتاج إليه.

ياسين فاعور: مدرس جامعي يحمل شهادة الدكتوراه ويعمل أستاذاً في كلية التربية، ناقد وأديب اهتم بالقصة القصيرة الفلسطينية والسورية، يكتب الشعر والقصة والرواية والدراسات النقدية له عشرات المقالات في المجلات الأدبية وخاصة مجلة الموقف الأدبي.

المراجع

تم وضع تفاصيل عن معظم المراجع ضمن صفحات الكتاب، وفيما يلي بعض المعلومات الإضافية:

1. مارون عبود: مقدمة ديوان «لهيب وطيب»، وكتاب: «نقدات عابر»، دار الثقافة للطباعة و النشر والتوزيع بيروت 1959.
2. أكرم زعيتر: من رسالة طويلة إلى الأديب مكتوبة بخط يده بتاريخ 1963/4/13، محفوظة في الأرشيف الوثائقي الخاص بالأديب.
3. سميحة خريس: من الندوة التكريمية التي أقيمت للأديب عام 2007. جميع أوراق الندوة موجودة على أشرطة سي دي. كما غطّاها العديد من المجلات والصحف.
4. ضحى عبيد: الندوة التكريمية التي أقامها اتحاد الكتاب العرب عام 2001، من كتيّب يضم كل أوراق الندوة.
5. فيصل حصيد: من الندوة التكريمية عام 2007، وقد تمت الإشارة إليها في عدة مقالات في الصحف والمجلات عن الندوة، كما أن المحاضرة محفوظة صوتيا على سي دي.
6. عبد الكريم الأشتر: جريدة البعث 1983/11/6، وقد أدرجها الأستاذ فوزي معروف في مقدمة كتابه: «سلامة عبيد، الأديب الإنسان».
7. المضحك المبكي: مجلة سياسية فكاهية كاريكاتورية صدرت في سوريا بين عامي: 1929-1966.

8. جريدة تشرين 8 نيسان 2007 الصفحة الأدبية زاوية وجوه لها تاريخ: مقال بعنوان: «من أوائل من كتب المسرحية الشعرية بعد شوقي».
9. ضحى عبيد: من الورقة التي شاركت فيها في الندوة التكريمية عام 2007، محفوظة صوتيا على سي دي كما أشارت إليها الصحف والمجلات التي غطّت نشاطات الندوة.
10. «تشانغ جيان مين» أستاذ اللغة العربية في جامعة بكين، مقال في مجلة بناء الصين، العدد 7 عام 1984، كما وضعت مجلة بناء الصين مقالات متنوعة عنه منها مقال للكاتب «لوي شي هدي» في عدد 1981/10، وأعداد أخرى متفرقة.
11. «تي كوان آن» المستشار الثقافي لجمهورية الصين الشعبية: الندوة التكريمية 2007، محفوظة صوتيا ومن خلال الصحف والمجلات.
12. أكرم زعيتر من رسالة سبق ذكرها.
13. عمر الدقاق: «ورحل إلى أبعد من الصين» البعث 4/20 /1984، كما كتب عن الأديب في عدد من كتبه منها: «صناع الأدب»: منشورات اتحاد الكتاب العرب 1983، وكتاب: «فنون الأدب المعاصر في سورية» دار الشرق العربي.
14. مارون عبود: «نقدات عابر»، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع 1959.
15. فوزي معروف: «سلامة عبيد الأديب الإنسان»، وزارة الثقافة 1998.
16. صالح زهر الدين: «رجالات من بلاد العرب»، المركز العربي للأبحاث والتوثيق 2001.

17. سيف الدين القنطار: «أعلام في السياسة والأدب والفن»، اتحاد الكتاب العرب 2013.
18. سيف الدين القنطار: «حكمة السنديان»، صادر عن وزارة الثقافة عام 2017 (ص 21-43).
19. محمد طربيه: «نعمة النقد» دار كيوان، 2013، الصفحات 165-174.
20. محمد طربيه: «تاريخ ومؤرخون»، دار العوام 2017 الصفحات 150-170.
21. جميل حسن: «قراءات في الشعر السوري الحديث»، اتحاد الكتاب العرب 2009.
22. لوي شي هدي: مجلة بناء الصين 1 أكتوبر 1981.
23. إسماعيل الملحم: محاضرات في الندوات التكريمية و موسوعة الجبل دار الكرم 2017.
24. مجلة الجبل (أسبوعية سياسية ثقافية كانت تصدر في السويداء) ملف الندوة النقدية التكريمية للأديب الراحل. العدد 39 تاريخ 2007/4/2.
25. سميحة خريس: «على جناح الطير، سيرة المدائن» صادر عن دار الحوار في اللاذقية الطبعة الأولى 2012.
26. ضحى سلامة عبيد: من كتاب «نوافذ على فضاء أزرق» سلمى سلامة عبيد، يصدر قريبا.
27. سلمى سلامة عبيد: «هنا كانوا» سيرة ذاتية طبعة أولى 2017 طبعة ثانية 2018 صدرتا عن دار ليندا.

معلومات إضافية عن الكتب المنشورة والمخطوطة للمؤلف:

1. «لهيب وطيب» ديوان شعر صادر عن الهاشمية دمشق 1960.
2. «اللّه والغريب» ديوان شعر طبعة أولى 1997 عن دار الأهالي دمشق طبعة ثانية 1998.

«اللّه والغريب» مختارات من الديوانين وغيرهما سلسلة كتاب الجيب اتحاد الكتاب العرب نيسان 2011.

3. «اليرموك»: مسرحية شعرية طبعة أولى 1943، طبعة ثانية 1952.
4. «أبو صابر»: رواية، وزارة الثقافة 1971، طبعة ثانية دار العوام 2013.
5. «ذكريات الطفولة»: قصص قصيرة عام 1987.
6. «الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر» بيروت 1971.
7. «الشرق الأحمر»، دار الإنشاء دمشق 1967.
8. «أمثال وتعابير شعبية من جبل العرب»، وزارة الثقافة 1985.

طبعة ثانية دار أمل الجديدة 2016.

9. «النساجة وراعي البقر»: أمل الجديدة دمشق 2016.
10. «رحلة في جبل حوران»: أمل الجديدة 2016.
11. «مختارات من الشعر الصيني القديم»، الناشر مجلة «بناء الصين» 1983..
12. «جبل حوران» ترجمة عن الرحّالة بركهاردت، دار الجبل 1955
13. «القاموس الصيني العربي، بكين».
14. «قواميس المواضيع، بكين».

15. «ربابة الثورة» مقدمة تاريخية ولغوية وتوثيق قصائد بعض الشعراء المجاهدين، طبعتان.
16. «أغنيات لأطفال بلادي» (مخطوط).
17. «قاموس المترادفات العربية» (مخطوط).
18. «طرائف من الصين» (مخطوط).
19. «الشعر النبطي في الإمارات» (مخطوط).
20. «أمثال وتعابير من ألف ليلة وليلة» (مخطوط).
21. «مع الرئيس ماو» (مخطوط).

الكتب التالية، وقد وصلتنا نسخ منها:

22. «مختارات من قصائد فلسطينية» جامعة بكين.
23. «ملاحظات حول الترجمة»، جامعة بكين.
24. «لمحة عن تطور الشعر العربي»، جامعة بكين.
25. «القراءة العربية»، جامعة بكين.
26. «لمحة عن موسيقا الشعر العربي»، جامعة بكين.
27. «المعارضة والمعارضون في عهد محمد(صلعم)»، جامعة بكين.
28. «المحرمات والمكروهات في القرآن»، جامعة بكين.
29. «مقتطفات مقارنة من الديانات السماوية الثلاث»، جامعة بكين.

كما أن هناك كتباً أخرى ورد ذكرها في رسائله من الصين، ولم تصلنا نسخ منها.

الفهرس

لمحة عن حياته 9
الفصل الأول: أعماله المطبوعة والمخطوطة 11
سلامة عبيد شاعراً مختارات من ديوان: «لهيب وطيب» 11
لا، لن أكونْ.. 11
ليتني أنسى 13
من دمانا 16
إلى ابنتي 19
عودي 21
لست أدري 23
حنين 26
الحدود المحطمَة 28
أغنية أمّ 29
بعد النكبة 31
غداً 34
يا شعب 36
الخريف 38
ذكريات 40
أبو رمّانه 43
في غدٍ تزحف الجموع 45

يا حَبّذا جبل الريان 47
مختارات من ديوان الله والغريب 51
موشح 53
العودة من الحقول 55
الربيع في الجولان 56
رسالة إلى ولدي 58
الندم الكبير 61
العيد في بكين والغريب 63
قليط 65
حاميها حراميها 66
عتاب اللصوص 66
الحصان والذئب 67
الجرذان وخابية الحلوى 67
الصياد والكلب 68
الموظف 69
المسرحية الشعرية اليرموك 70
ذكّرينا 71
سلامة عبيد والأطفال أغنيات لأطفال بلادي
يا إخوتي الأطفال 73
أغنية الشتاء 75
قصائد بالإنكليزية 76
الأعمال القصصية 79

سكتي ابنك يا حرمة! 79
العودة من المعركة 84
هدية أم 87
محيط المحيط 90
رواية أبو صابر 99
النساجة وراعي البقر 100
قصص للأطفال 100
التأليف المعجمي 101
المعجم الصيني . العربي الكبير 101
قاموس المترادفات العربية 103
القاموس المبوّب 104
قاموس للأمثال الصينية– العربية 104
كتاباته التاريخية 105
الثورة السورية الكبرى 105
على ضوء وثائق لم تنشر 105
ربابة الثورة 108
سلامة عبيد باحثا في التراث الشعبي 111
أمثال وتعابير شعبية من السويداء . سورية 111
الشعر النبطي في الإمارات العربية المتحدة 112
طرائف من الصين مخطوط من جزأين 114
أدب الرحلات 115
الشرق الأحمر 115

مع الرئيس ماو 116
سلامة عبيد والترجمة 117
جبل حوران في القرن التاسع عشر. 117
رحلة في جبل حوران 118
مقطوعات شعرية من الأدب الصيني القديم 119
سلامة عبيد والتأليف الجامعي 121
موسيقا الشعر العربي جامعة بكين 1979 121
ملاحظات حول الترجمة 122
لمحة عن تطور الشعر العربي من الجاهلية حتى مطلع القرن العشرين 123
مختارات من قصائد فلسطينية 125
أمثال من ألف ليلة وليلة 128
القراءة العربية 128
كتاباته حول الأديان 131
مقتطفات مقارنة 131
من الديانات السماوية الثلاث 131
المحرمات والمكروهات في القرآن 132
المعارضة والمعارضون في عهد النبي «صلعم» 133
الفصل الثاني: شهادات النقاد، وفاء الأصدقاء، وحكايا الأبناء والطلاب ... 135
مقتطفات مما كتبه النقاد والأصدقاء 135
أكرم زعيتر 135
عمر الدقاق 136
مارون عبود 137

فوزي معروف 137
صالح زهر الدين 139
سيف الدين القنطار 140
محمد طربيه 141
جميل حسن 142
«لوي شي هدي» 143
نايف عبيد ذكريات 144
نايف عبيد رسالة إلى أخي سلامة 146
العددان الخاصان بالأديب من مجلة الثقافة 148
مجلة الثقافة الأسبوعية 148
مجلة الثقافة الشهرية 149
عيسى عصفور 152
غازية حمزة 153
الندوات التكريمية 155
الندوة التكريمية 2001 – اتحاد الكتاب العرب 155
الندوة التكريمية آذار 2007 158
الأوساط الثقافية الكويتية واهتمامها بالأديب 162
موسوعات كتبت عن الأديب 163
برامج إذاعية ومعارض توثيقية 164
فيلم عناد السنديان 166
مقالات في الصحف والمجلات 167
الأديب وما نشره في الصحف والمجلات 171

ذكريات يرويها الأبناء 173
من مذكرات ضحى سلامة عبيد – قرط الزمرد 173
أجمل ابتسامة لرجل 175
شالي الحرير.. 176
من مذكرات سلمى عبيد – زوّار الليل.. 178
إحسان عبيد – كبسة المدير 182
رسالة من أحد طلابه فاروق هجرت 183
بوست من طالب آخر سعيد أبو صعب 185
الصفحة الأخيرة 187
فهرس ببعض الأسماء الواردة في الكتاب: 189
المراجع 201